الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم –
كلية العلوم الإجتماعية
قسم العلوم الإجتماعية
شعبة: الفلسفة

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

البيواتيقا من خلال كتابات محمد جديدي
-قراءة في كتاب الأفق البيوإيتيقي-

من إعداد الطالبة: قطرني شيماء

تحت اشراف : أ د.العربي ميلود

السنة الجامعية : 2023/2022

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى من بفضلهما بعد الله وصلت الى

هذا الطور، والديا الكريمين، والى اخوتي واخواتي، الى

جوهرتي الأسرة بنات أختي هيبة غفران

وسجود عبير

وإلى الدكتور محمد جديدي

شيماء

شكر وتقدير

قال تعالى:" ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه" الآية 12 سورة لقمان.

وفي بداية كلمتي لابد لي من أتوجه أولا بالشكر لله عز وجل الذي وفقني للوصول

إلى هذه المرحلة العلمية العالية، ومهد لي طريق لأن أكون بين أيديكم اليوم لأناقش رسالتي في ماستر.

ثم أرفع عبارات الشكر والتقدير والاحترام إلى رفيع المقام أستاذي الفاضل الدكتور "العربي ميلود" على إرشاداته العلمية القيمة والمنهجية السديدة، وعلى نبل أخلاقه ورفعة شمائله...

ولا يفوتني في هذا المقام أن أنوه بخصال وأخلاق المفكر "محمد جديدي" السامية لقد أبدى تعاونا وتفهما كبيرا من خلال مراسلاتي معه طيلة الفترة، أمدني فيها بجملة من مؤلفاته ومقالاته، ولم يبخل علي بدعمه المتواصل، فله مني خالص الشكر ووافره.

أني أتوجه بالشكر الجزيل للأستاذ الدكتور رئيس الشعبة "سباعي لخضر" الذي ساعدني في مسيرتي لانجاز هذا البحث.

وشكري موصول لأساتذة الدكتور حموم، ودكتور قواسمي مراد والدكتور عمارة الناصر، والدكتور مخلوف بشير حفظهم الله ورعاهم وأطال في عمرهم كما كان لتوجيهاتهم ونصائحهم دورا أساسي في إتمام دراستي العلمية.

كما أنني أقدم أسمى أيات الشكر والعرفان الجميل للدكتور سماحي أحمد، فأسأل الله العزيز أن يجازيه خير الجزاء.

بالإضافة إلى جزيل الشكر والامتنان للأساتذة قسم الفلسفة وموظفيه وكذا طلبته الأعزاء وطالباته الفضليات على عطائهم اللامحدود، ولم نر منهم إلا العزيمة القوية وصدق النية والبذل والعطاء.

أبي الحبيب... وأمي الغالية، أخي وأختي لا يمكن أنسى دعمهم لي، وما قدمتموه من أجلي، فلكم مني كل الحب، ومهما قلت في حقكم من كلمات الشكر فإنني لا أمنحكم ما تستحقونه.

الفهرس

تشكرات	
الإهداء	
المقدمة.....	5-1
الفصل الأول: سيرة ومسار "محمد جديدي"	
مدخل (السيرة الذاتية).....	07- 6
المبحث الأول: قراءة في مقالات *محمد جديدي*.....	-17-18
المبحث الثاني: قراءة في مؤلفات *محمد جديدي*.....	40-18
الفصل الثاني:المفاهيم البيواتيقية في تصورات محمد جديدي	
المبحث الأول: في مفهوم البيواتيقيا.....	62-41
ما البيواتيقا؟.....	
إرهاصات البيواتيقا.....	
مراحل تطور البيواتيقيا.....	
المبحث الثاني: المقاربة المفاهيمية.....	77-62
موضوع البيواتيقا.....	
أبرز مفاهيمها وتطوراتها.....	
الفصل الثالث: قراءة في كتاب الأفق البيواتيقي "ج2"	
قراءة في الشكل.....	78
قراءة في المضمون.....	104-78
الخاتمة.....	107-105
قائمة المصادر والمراجع.....	**108**

المقدمة

عرف العلم منذ أن تبلور مفهومه في العصر الحديث ازدهارا كبيرا لم يتحدد بالعناصر الأساسية المشكلة له من حيث الموضوع والمنهج والنتائج، وإنما كذلك بكونه ايديولوجيا وجهت بوصلة الانسان صوب السيطرة على الطبيعة كأداة وقوة وطريقة للحقيقة، ومكن للإنسان ان يحقق جزءا من احلامه ومشاريعه التي ظلت تنتظر التجسيد والانجاز، هكذا شهد العلم وثبة في التاريخ البشري بحيث لم يكتف بتحقيق نظري على الصعيد الكمي والكيفي بل تجاوز ذلك إلى امكانات التطبيق والتنفيذ التقني وهو ما ترجم على أرض الواقع في اكتشافات العلوم والمعارف واختراعات الثقافة والتطبيقات وابتكارات الأجهزة والتكنولوجيا، تضاعف وتنامي منسوب التقدم العلمي بشكل كبير في القرن العشرين لما تحالفت العلوم فيما بينها ضمن تشابك التخصصات وتقاطعها وهو ما أثمر نتائج اعتبرت ثورية لا سيما في ميدان العلوم الحياتية والطبية.

بيد أن التقدم العلمي في مجالي البيولوجيا والطب كان له ثمن من، حيث افرز أثارا من ذلك مثلا، بروز اشكاليات وقضايا اخلاقية لم يعهدها الانسان من قبل، وأما هذا الوضع، و محافظة على النتائج الإيجابية للعلم و تجنبا لآثاره السلبية، و مرافقته للوصول الى غاياته الإيجابية و المتمثلة أساسا في الكشف عن القوانين للتحكم في الطبيعة و استغلال ذلك في خدمة البشرية، برز حقل بحثي جديد فرضته الوضعية الجديدة للخارطة العلمية في نهاية القرن العشرين، يتعلق الأمر بالبيوتيقا.

حيث ظهر هذا المبحث مع بداية سبعينات القرن الماضي (سنة 1971 بالتحديد) كحلقة وصل وجسر يربط بين نسقين من المعارف العلمية، المعرفة البيوطبية وتطبيقاتها من جهة، والمبادئ الأخلاقية والقيمية بصورة عامة من جهة ثانية، أي الربط بين النسق العلمي المعرفي والنسق القيمي الأخلاقي.

و هكذا ، جاءت البيوتيقا نتيجة لتوتر علاقة العلم بالأخلاق، كاشفة عن أزمة لامست توجهات العلم وأهدافه، أزمة شبيهة بتلك التي هزت كيان العلوم في نهاية القرن 19، وكانت ذات طبيعة ايبستمولوجية أما ازمة العلم نهاية القرن العشرين فقد اتخذت صبغة اكسيولوجية، كان من ضمن مظاهرها ، بروز هاجس ذو طبيعة ايتيقية ، تمثل أساسا في التنبيه لها يهدد طبيعة الانسان، هويته وكرامته، و كذا خطورة النتائج غير المتوقعة و غير المتحكم فيها على الفرد والمجتمع.

إن التعامل مع الكائن الحي بشكل عام ومع الكائن البشري بشكل خاص عبر التقنيات المستجدة في البحث البيوطبي من "قبيل الاستنساخ والتعديل الجيني والاخصاب الاصطناعي، وضع الانسان على المحك ورهن مستقبله بسؤال التحكم والقدرة على توجيه مثل هذه التقنيات ، كما وضعته امام مسؤوليات اخلاقية وتاريخية، لا تخص فردا أو مجموعة بعينها انما النوع البشري بأكمله.

ففي خصم الثورتين البيولوجية والطبية طفت على السطح مشكلات تجاوزت حدود طبيعة العلم، مقتربة من تخوم الاخلاق، مثيرة الإشكاليات المتعلقة بالطبيعة الإنسانية والكرامة وحقوق الانسان، ووجد الباحثون في علوم الحياة والطب أنفسهم مجبرين على فتح حوار ونقاش مع فاعلين من خارج حقولهم العلمية، حيث أمكن للفلاسفة وعلماء الاجتماع والأنثروبولوجيا واللاهوت والسياسة من الالتحاق بنقاش علمي / اتيقي متعددة حول القضايا الاخلاقية، وعليه كانت الإشكالية المركزية في دراستنا هذه تتعلق أساسا بالمشكلات الأخلاقية التي أفرزتها الثورة العلمية في مجال البيولوجيا عموما، مجال الوراثة والطب خاصة وإمتدادات هذه الإشكالية إلى اهتمامات البحث والدرس الفلسفيين في جامعتنا ومراكز البحوث في منطقتنا العربية، فكان لابد من الكشف عن قيمة وموقع البيواتيقا في بنية برامج تكويننا الجامعي و كذا مسار فكر الباحثين العرب، لذا عرجت هذه الدراسة على تجربة الباحث محمد جديدي من الجزائر في هذا

المجال، وعليه فإن السؤالين اللذين يعبران عن إشكالية هذا الموضوع، تمت صياغتها على نحو التالي:

1. ما هي المشكلات الاخلاقية التي أفرزها التقدم العلمي في مجال البيوتيقا والطب؟
2. كيف تتجلى قيمة البيوتيقا كمبحث فلسفي معاصر في دراسات محمد جديدي؟ ما هو موضوعها، مفاهيمها وسيرورتها التاريخية؟

محاولة منا لمعالجة هذه الإشكالية، قمنا بهيكلة هذا البحث وفق الخطة التالية:

تكونت دراستنا هذه من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، الفصل الأول موسوم بـ: سيرة ومسار محمد جديدي و تضمن مبحثين، المبحث الأول معنون بـ قراءة في مقالات محمد جديدي، والثاني موسوم بـ قراءة في مؤلفات محمد جديدي.

أما الفصل الثاني ، فكان عنونه المفاهيم البيوتيقية في تصورات محمد جديدي، والذي يتألف من مبحثين ، المبحث الأول: مفهوم البيوتيقا، تطرقت فيه إلى تعريف البيوتيقا وإرهاصاتها ومراحل تطورها، أما المبحث الثاني، فجاء تحت عنوان المقاربة المفاهيمية يتضمن هذا المبحث مواضيع البيوتيقا وأبرز مفاهيمها، اما الفصل الثالث والأخير، فكان بمثابة فصل تطبيقي، إذ قمت بعرض وتحليل أهم المفاهيم وقضايا البيوتيقا من خلال قراءة لواحد من أهم مؤلفات الباحث محمد جديدي، حيث أنجزت بطاقة قراءة لمؤلفه "الأفق البيوتيقي ج2" إذ جاء المبحث الأول حول الجانب الشكلي للكتاب، أما المبحث الثاني فتعلق بمحتوى ومضمون الكتاب.

الدراسات سابقة: هناك العديد من الدراسات المتعلقة بالبيوتيقا، و هي دراسات اكاديمية ، متضمة في هذه الدراسة كمراجع، ولكن تعتبرهذه الدراسة الاولى من نوعها في حدود علمي التي تناولت عرضا لدراسات باحث جزائري حول إشكالية البيوتيقا ويتعلق الامر بمحمد جديدي.

الصعوبات والعوائق:

أثناء انجازي لهذا العمل المتواضع، واجهتني عدة صعوبات حالت أن ينتهي العمل كما توقعته، وأهم تلك الصعوبات:

- قلة المراجع، الخاصة باللغة العربي كون البحث من الموضوعات الجديدة وهذا ما أخذ من جهدي ووقتي فيه.
- اتساع الموضوع وتداخله مع اشكاليات متعددة استقطبت حقول معرفية مختلفة، وفي ضل محدودية الوقت جعل من الصعب الإلمام بكافة جوانبه.

الفصل الأول

الفصل الأول
محمد جديدي: سيرة ومسار

محمد جديدي: سيرة ومسار

مدخل: السيرة الذاتية لمحمد جديدي[1] « Mohamed Djedidi »

الدكتور محمد جديدي أستاذ الفلسفة بجامعة "قسنطينة" شرق الجزائر، وهو باحث أكاديمي، اشتغل بالفلسفة المعاصرة، خاصة الأمريكية: البرغماتية، الحداثة وما بعد الحداثة، الفلسفة التطبيقية (البيواتيقا) الترجمة وفلسفتها، حيث تمحور اهتمامه على وجه الخصوص حول مشكلات ومسائل الفلسفة في نهاية القرن العشرين وبداية الألفية الثالثة، كالتجربة الفلسفية والسياسية، الأنوار، جدل الحداثة وما بعدها، مسألة العدالة والحرية والحقوق الإنسان، وكذلك البيوتيقا والجماليات والأيكولوجيا.

يشرف على العديد من المشاريع العلمية، منها تأطير تخصص ماستر بيوتيقا وأيكولوجيا، كما يشتغل كخبير ومحكم لمشاريع الدراسات الجامعية، وكذا المجلات الفلسفية للجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية.

مؤلفات محمد جديدي[2]:

1. فلسفة الخبرة جون ديوي نموذجا – المؤسسة الجامعية للدراسات للعلوم– بيروت– لينان، الطبعة الأولى، 2004م.
2. الحداثة وما بعد في فلسفة رتشارد رورتي، دار العربية للعلوم – بيروت– لبنان بالإشتراك مع منشورات الاختلاف الجزائر، الطبعة الأولى، 2008م.
3. الفلسفة الإغريقية، الدار العربية للعلوم بيروت، لبنان بالاشتراك مع منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى، 2009م.
4. فيليب رانيو، ماكس فيبر ومفارقات العقل الحديث (ترجمة وتقديم) الدار العربية للعلوم بيروت، لبنان بالاشتراك مع منشورات الاختلاف الجزائر، الطبعة الأولى 2009م.

---

[1]– مؤمنون بلا حدود، بتاريخ 2023-04-18، 16:45 سا.

[2]– مؤمنون بلا حدود، بتاريخ 2023-02-15، 06:00 سا.

5. ما بعد الفلسفة: مطارحات "رورتية"، الدار العربية للعلوم بيروت، لبنان بالاشتراك مع منشورات الاختلاف الجزائر، الطبعة الأولى 2010م.
6. الجماعات والأقليات في التاريخ: الحشاشون نموذجا (اشراف على كتاب جماعي)، دار بها الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2011م.
7. شيفان هابر، هابرماس والسوسيولوجيا (ترجمة وتقديم)، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان بالاشتراك مع منشورات الاختلاف الجزائر، الطبعة الأولى 2012م.
8. فريدريك وروم – الفلسفة في مائة كلمة (ترجمة وتقديم)، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان بالاشتراك مع منشورات الاختلاف الجزائر، دار الأمان، المغرب، الطبعة الأولى 2014م.
9. فليب ريتور، الدروس الأولى في علم الاجتماع (ترجمة وتقديم)، منشورات ضفاف، بيروت ، لبنان بالاشتراك مع منشورات الاختلاف الجزائر، دار الأمان، المغرب، الطبعة الأولى 2015م.
10. غي ديران– البيوتيقا: الطبيعة– المبادئ– الرهانات– (ترجمة وتقديم) دار الجداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت بالاشتراك مع مؤسسة مؤمنون بلا حدود، المغرب، الطبعة الأولى، 2015م.
11. الترجمة ، الرؤية الفلسفية، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2018م.
12. الفلسفة الاغريقية (ثلاث أجزاء)، منشورات الاختلاف الجزائر ومنشورات ضفاف، بيروت، 2019م.
13. ما البيوتيقا؟ دار الوطن اليوم، الجزائر، 2020م.
14. الأفق البيوتيقي (الجزء الأول)، دار ميم للنشر، الجزائر، 2021م.

المبحث الأول[1]: قراءة في مقالات محمد جديدي

مقال بعنوان: اللاهوت وتطور البيوتيقا الأمريكية

نشأة البيوتيقا في منتصف ستينيات (القرن الماضي) ضمن سياق شمال أمريكي في الوقت الذي بلغت فيه الثورة الثقافية لسنة 1968 ذروتها في أوساط الجامعيين فهي مرحلة الاحتجاج والرجوع إلى الخبراء، وتأكيد الذات الفردية ومنذ الحرب العالمية الثانية، أصبح ينظر إلى العلم البيوطبي باعتباره أحد المحاور المركزية لنجاح هذا البلد، وهاهو ذا اليوم يلقى احتجاجا قويا من قبل تيار الأنتلجنسيا (المثقفين).

ابتدءا من 1966 توالت تصريحات والكشوفات بخصوص المعاناة التي فرضها الباحثون على الخاضعين للتجريب، ان التصريحات التي أدلى بها "هنري بيتشر" beeche"Henry " والتي سيستحوذ عليها سريعا الكونغرس الأمريكي تشتم منها رائحة الفضيحة، مثلما حدث تقريبا في فرنسا مع الصدمة الأخيرة التي نجمت عن قضية الدم الملوث، وازدادت حدة التوتر بين الباحثين وبعض السلطات السياسية، إن شهادة كريستيان برنار Christian Barnard أمام مجلس الشيوخ الأمريكي في 1970 تظهر هذه الذهنية، لقد كان رد الطبيب رائد عمليات زراعة القلب، الذي سأله السيناتور كينيدي Kennedy عن قيامه بمهمة موجهة حسب الطلب (الجمعية الطبية الامريكية American Medicol Association فكان أن صرح الطبيب بعجرفة أن المهمة الوحيدة للحكومات تتمثل في توفير الأموال للباحثين، وهم وحدهم المخولين باتخاذ قرار التوجهات التي يتبعونها، وكان أطباء باحثون آخرون قد استخدموا اللغة نفسها.

وبالنسبة إلى باحثين وأطباء آخرين، فإنه منذ البداية سعوا إلى حضور الغرباء بنشاط لقد تزعموا الحركة شيئا فشيئا، وتوافقوا مع الغرباء على أن يصبحوا شركاء ما يحتم خيار اللجوء إلى العمل المشترك بين الفروع وهكذا على سبيل المثال: في سنة 1970 أنشئ لفظ البيوتيقا

[1]– مؤمنون بلا حدود، 2023-02-07، 06:00 سا.ص 06، www.moumonoim.com

ليس من طرف الفلاسفة إنما من قبل أطباء ملتزمين بالبحث الإكلينيكي إن الطبيين فان بوتر Van Poter وأندرية هيليغر André Acllegers اللذين اقترحا العبارة باستقلال الواحد عن الآخر، التقيا في الانشغال الذي قادهم إلى إنشاء جماعة حوار ومسؤولية بين العلمين المنحدرين من "البيوطب" وأولئك الملتزمين في حقل العلوم الانسانية، الفلسفة والثيولوجيا، فالتنظيم ينبغي أن يصدر من الداخل وقد فكر كل من بوتر وهيليغر Potter et hellegers بتعبير التنظيم الذاتي وعلى هذا فاقتراحهما يعود إلى نسق أخلاقي بما يحمله المصطلح من معنى"[1].

بهذا اعتبر اللاهوتيون بوصفهم ممثلي الإتيقا، فكان اللاهوتيون البروتستانت أولا في قلب ما سيصير "البيوتيقا" إن أسماء "جوزيف فليتشر Joseph fletcher" و"بول رامسي Paul Ramsy" و"جيمس غوستافسون Jomes grustafson" تتبادر مباشرة إلى الذهن، وبسرعة سار اللاهوتيون الكاثوليك وراء الحركة وهنا ينبغي أن نذكر "ريتشارد ماكورميك Richard Mecormick" تشارلزكوران يجب الإشارة إلى أيمانويل باكوبوفيتش Immanuel Jakobovitz، وفراد روسنر Fred Rosner وديفيد بليش David blich، إن المكانة التي احتلها الثيولوجيون لا تستثني مع ذلك الحضور بعض الفلاسفة القريبين من التقليد اليهودي /المسيحي، أفكر هنا في "دانيال كالاهان Daniel callahan" و"هانس بوناس Hans Jonas" ومن الملفت للانتباه، ملاحظة أنه في المرحلة التي بدت فيها مسألة تعيين ممثلين لمجال الأخلاق ضمن اللجان الأولى المكلفة بتوضيح المشكلات الصعبة المثارة جراء الممارسة الطبية الجديدة، فإن الفرع الذي كان يحال إليه مباشرة لم يكن هو الاخلاق أو الفلسفة وإنما اللاهوت.

[1]– مؤمنون بلا حدود، www.mominoim.com

يمكن أن تقدم ملاحظات متشابهة، على ما يبدو وبخصوص "كندا Canada" و"الكيبك Quebec" فالدراسات موجودة وتثبت الدور المبادر اللاهوتيين، هؤلاء أبدوا اهتمامهم مبكرا بالإتيقا البيوطبية بينما "بقى الفلاسفة بعيدين.

مقال بعنوان: التعددية المعيارية في البيوتيقا، رهان ميتابيو إتيقي[1]

تطور التفكير البيوتيقي في سنة 1970، وما بعدها استجابة للتخوفات الناجمة عن تقدم العلوم والتقنيات البيوطبية التي تتضمن معالجة الحي على وجه الخصوص عبر التجريب على الإنسان، واستعمال أجزاء من الجسم البشري، والمساعدة الطبية على الإنجاب، والتدخلات على الخارطة الجينية...إلخ.

هذه التقنيات تغير ممكنات الفعل الإنساني وتمثل في الوقت نفسه باعتبارها تقدما علميا وعلاجيا حقيقيا مخاطر جديدة، في هذا السياق، يجد العلماء أنفسهم في مجابهة المسألة الأخلاقية ""Moralité" التقنيات والممارسة الجديدة: فهل عمل ما هو ممكن علميا أو تقنيا، الإنعاش، الزرع المعالجة الجنسية...إلخ.

هل هو مرغوب أخلاقيا؟ فبين التحمس والتخوف من التقدم التقنوعلمي، يتدخل أو ينخرط تفكير متعدد الفروع Pluridisciplinaire يسمى "بيوتيقا" « Bioéthique » حول مبادئ أو المعايير الأخلاقية التي ينبغي أن ترشد الفعل في هذا المجال، إن التفكير في هذه القضايا ينبني حول التعاون بين الأطباق والفلاسفة واللاهوتيين.

"البيوتيقا" تمأسست شيئا فشيئا جراء انشاء مركزها "هوستن سنتر"Hastin Center "ومعهد" كنيدي Kennedy institute" بالولايات المتحدة وعبر اللجنة الإستشارية الوطنية للأخلاق « CCNE » في فرنسا واللجنة الوطنية للأخلاق الطبية في تونس...إلخ، فقد انتظمت كثير من المؤتمرات المتخصصة، ونشرت المجلات والمطبوعات ووجهت العديد من التوصيات

[1]– مؤمنون بلا حدود، بتاريخ 2023-02-09، 06:10 سا. www.mominoim.com

حول السلوكيات التي يجب اتباعها في مختلف الوضعيات البيوطبية (الإنعاش، تلقي الموافقة، نزع الأعضاء...إلخ).

تتزامن هذه المؤسسة مع حركة مزدوجة فهي، أولا، تمهد لتجديد في الأولى "الأخلاقي" للبيوتيقا تعتبر المعيارية الأخلاقية هي التي تملك الشرعية لحل مفارقات البيوتيقية الممارسات. ينخرط الفلاسفة في النقاشات المعيارية ويرافقونهم في الأبحاث النظرية حول الأسس الأخلاقية للبيوتيقا، حيث يتعلق الأمر بتأسيس علني للمبادئ والنظريات والمناهج والمفاهيم لحقل جديد، متعدد التخصصات والفروع جدا، ومركز حول الموضوعات بيولوجية وطبية.

وأخيرا في بداية سنة 1990، بدا وكأن "رهان البيواتيقي" قد تحقق، فقد ظهر أن بعض المبادئ الاخلاقية الاجتماعية أو المتضامنة تشكل قاعدة أخلاقية كافية وشرعية لتوجيه وتأطير الفعل البيوطبي في المجتمعات الديمقراطية التعددية وان إجماعا حول بعض المبادئ المنفصلة عن نظرياتها الأصلية صار وظيفيا، على المستوى النظري تشكل النزعة المبدئية Le principlusme" إطارا مرجعيا للتفكير البيوتيقي للشمال الأمريكي، وفي أوروبا يبدو أن مبادئ الكرامة، الضعف (هشاشة) والسلامة الجسدية والاستقلالية، ضمت اجماعا كافيا لإرشاد الممارسات حالة بحالة، في إطار المنافسات المتعلقة وعلى المستوى المنهجي بدت مناهج الفلسفة الاخلاقية، التحليل المفهومي، التقييم النقدي لمصطلحات الجدالات، الحجاج المنطقي والعقلي، اقتضاء التماسك، ولا سيما تطبيق النظريات الاخلاقية على الوضعيات الإكلينيكية، بدت متأقلمة ومتكيفة[1].

[1]– مؤمنون بلا حدود، بتاريخ 2023-02-09، 06:10 سا. www.mominoim.com

مقال بعنوان: البيوتيقا مقاربة علمانية[1]

برزت المقاربة العلمانية في البيوتيقا من بين مقاربات أخرى كانت متزامنة وشائعة في ستينيات القرن الماضي في ظل ظروف وأسباب متباينة وسعت لتبدو المقاربة الوحيدة الممكنة والمهيمنة، حيث تأسست البيوتيقا بوصفها مقاربة علمانية متعددة الفروع، محتملة، شاملة ونسقية.

المقاربة العلمانية في البيوتيقا في نظرنا،هي حلقة في سلسلة طويلة من تاريخ الغرب الحديث، وهي نتيجة منطقية لاستكمال إجراءات فصل الديني عن الدنيوي، بعد حسم معركة السياسي واللاهوتي كان لابد من عدم ترك الاخلاق مرتعا أو منفذا للدين، ويوجب تغيير مرجعية المصدر الديني للأخلاق بمرجعية عقلانية، نهض بها ورتب عناصرها عصر النقد والأنوار، الآن وقد صار العقل سيدا ومرجعا للاتيقا الحديثة يمكن إعتماده خلفية للإجماع البشري ولو نسبيا، ويمكن تنميط السلوك وقفا له، ويمكن كذلك تخطيط سياسات الصحة والمدينة والبيئة وفقا له.

المقاربة العلمانية في البيوتيقا هي إحدى استتباعات تحييد الفضاء العمومي أخلاقيا، بعد أن تم تحييده سياسيا واجتماعيا ، تلك هي المحاولة التي كشف عن نفسها مع ظهور البيوتيقا من أقل من نصف قرن، أي بداية سبعينات القرن الماضي، وفي خضم أوضاع معقدة اجتماعيا وسياسيا ومتطورة علميا وتقنيا تكونت البيوتيقا باعتبارها مقاربة علمانية متشابكة الفروع والتخصصات يقول أحد الكتاب الكنديين المهتمين بالبحث في البيوتيقا كيف ترى بروز الوجه العلماني للبيوتيقا؟.

تشير المقاربة العلمانية في البيوتيقا إلى البيوتيقا العالم الأكاديمي والاستشفائي البيوتيقا إلا أنها تسعى في "توضيح وحل المشكلات والنزاعات الاخلاقية الحاصلة في الحضارة

[1]– مؤمنون بلا حدود، بتاريخ 2023-02-28، 05:00 سا. www.mominoim.com

المعاصرة التقنوعلمية والمتعددة ثقافيا، المتميزة بتراجع الأخلاق الأساسية المتيافيزيقية والدينية والتقليدية وتراخيها.

لا ترمي المقاربة العلمانية إلى التخلي عن الأخلاق ذات الأصول الدينية فحسب، بل غرضها تجاوز الأصول الأخلاقية ذات التوجهات المتيافيزيقية والتقليدية المحافظة عموما والتي وصفها "جيلبر هوتوا" « Gilbert Hottois » ما بعد حداثة « Postmodernité »، وقد تمثل الفيلسوف الامريكي "تريسترام انغلهارت" « Tristram Engelhort » هذه المقاربة العلمانية أحسن تمثيل في كتابة أسس البيوتيقا ففي تقدير "انغلهارت" ومن لهم حق على أطروحته نفسها، لا تعني المقاربة العلمانية أن المعتقدين أو المؤمنين ليس لهم حق إبداء آرائهم وألا يكون لهم صوت، ولا أن يضعوا إيمانهم على الرف – وبالكيفية نفسها لا يطلب من المواطنين الآخرين أن يضعوا مسلماتهم الإيديولوجية بين أقواس إنما تقتضي ألا يضعوا معتقداتهم في الواجهة وألا ينطلقوا في تبريراتهم من إيمانهم، فالحوار يقع على مستوى العقلاني والانساني.

واكبت نشأة البيوتيقا إشكالات وجيهة فرضت عليها إيجاد إجابات لها، كما فرضت عليها تقديم تصورات وحلول لحالات إنسانية معقدة وإن كانت فردية واستثنائية، في بادئ الامر، ينبغي الاقرار بأن بروز البيوتيقا كان نتيجة لتقدم علمي وتقني حصل في مجال علوم الإحياء والطب، إذن بروزها لم يكن استباقا ولا نبوءة، إنما فرض نفسه باعتباره تفكيرا من زاوية أكسيولوجية إزاء مستجدات علمية حملت معها تساؤلات عدة ، لا تتعلق بالتقنيات والطرائق الجديدة ولا بنتاج العلوم البيولوجية والطبية، بقدر ما تتعلق بتعامل هذه التقنيات والعلوم مع الكائن الحي بصورة عامة والإنسان بصورة خاصة.

هكذا إذن طرحت المسألة بداية، في ظل انتعاش البحث الأخلاقي في القرن العشرين وفي خضم احتلال المسائل الأكسيولوجية لمركز الصدارة ضمن مباحث الفلسفة العامة (الأنطولوجية والإبستمولوجية خاصة) فباتت قضايا القيمة من أهم القضايا التي انشغل بها

الفلاسفة القرن العشرين رافضا بعضهم القيم القديمة، داعيين إلى مسايرة الحداثة ومنجزاتها والقيم التي حملتها في الوقت الذي كان بعضهم الآخر يشدد على التمسك بقيمة الإنسان جوهرا للقيم وعدم المجازفة بإنسانيته وإفساد طبيعته بتوابع غير أكيدة.

مقال بعنوان: البيوتيقا ورهانات الفلسفة القادمة[1]

ان نجزم بأن البيوتيقا باتت اليوم رهانا للفلسفة القادمة فذلك لأنها على قدر كبير من أهمية والإهتمام في دراسات الفلسفة التطبيقية الحالية وأبحاثها، إن الفلسفة التي مافتئت تتعرض لهزات عنيفة تحت تسميات عدة، نهاية الفلسفة، موت الفلسفة، فناء الفلسفة، الفلسفة في المتحف، قد عرفت في كل مرة كيف تجد لنفسها السبيل إلى فرض نفسها وتبرير لوجودها، ومن هذا المنظور فإنني أتوقع أن تكون البيوتيقا ممثلة للفلسفة كإحدى ابرز المباحث وأكثرها خصوبة وثراء في هذا القرن الجديد، لهذا عنوان هذه الورقة البيوتيقا ورهانات الفلسفة القادمة...

وليس من باب المجازفة القول بأن البيوتيقا واحدة من رهانات الفلسفة القادمة حتى وإن بدا هذا القول من قبيل التكهن الذي يرسم لوحة لموضوعات الفلسفة حاليا ومستقبلا، إن تداول كلمة "بيو" ، « Bio » كواقع يتشابك مع فروع أخرى اثمرت "بيوتكنولوجيا" أو "بيو كيمياء" أو "بيوفيزياء"، لم يتوقف عند هذا الحد في التحالف والإرتباط بين العلوم بل امتد إلى دوائر أخرى قد لا تبدو أنها على صلة علمية بالبيولوجيا كبيوسياسة (بيوبولتيك) « Biopolitique » أو بيوسلطة) « Biopouvoir » فضلا عن بيوتيقا، لفظ "بيو" bio اليوم من فرط تداوله أضحى مرجعية واصلا في ثقافة العالم المتقدم ، تنطلق المجازفة بالقول في اعتبار البيوتيقا رهانا للفلسفة المقبلة من واقع علمي يلقي بظلاله على حياة الإنسان ويريد أن يتحكم في أدق شؤونها واستلمها ويوجهها كيفما شاء، ففي ضوء الثورات العلمية الثلاث حول المادة الحياة والعقل (وهي على التوالي التورات الفيزيائية (الكم) البيولوجية (الجينوم) الكومبيوتر (الذكاء) وتحالفاتهم

[1]– مؤمنون بلا حدود، بتاريخ 2023-02-10، 03:45 سا. www.mominoim.com

المقامة من أجل تقديم المزيد من الاكتشافات والنتائج المرتقبة وفق رزنامة يضعها المنظرون والباحثون أنفسهم خلال هذا القرن، وذلك بتحديد محطات دقيقة تبدأ من بداية الألفية الثالثة إلى غاية 2020 بعدها مرحلة أخرى حتى 2050، وأخيرا الفترة الممتدة من منتصف هذا القرن إلى نهايته، وأهم ما يميز مراحل التقدم الذي حصل في كشف خارطة الجنية وحوسبتها والتحكم في الجينوم، وهو ما سيكون له معان عميقة في الطب والبيولوجية.

مقال بعنوان: موت الرحيم أول التنازل عن الحق في الحياة[1]:

يحاول المقال الوقوف على إمكانية تطور التشريع بخصوص مفصلة "أوتنازياء" أو موت الرحيم اتسعت في الفترة المعاصرة وبالتحديد منذ منتصف القرن العشرين سلطة العلم والتقنية وازداد تأثيرها على حياة الإنسان، ولا سيما العلوم البيولوجية والطبية فغدت مشرفة على كل تفاصيل الحياة البشرية من لحظة الولادة وقبلها إلى الوفاة بل وبعدها.

إن هذا الإنتشار المتعاظم السلطة العلم البيوطبي يطرح مسألة أخلاقية بإلحاح، ضمن الأبحاث والممارسات العلمية والتقنيات الجديدة التي افرزها التقدم في ميدان البحث، وهو ما يدفعنا إلى تساؤل عما إذا صار القسم "الأبقراطي" و"ديونطولوجيا" البحث والتنمية « R8D » [2] غير كافيين لتبديد المخاوف وإزالة الغشاوة عن برامج الباحثين وممارسات الأطباء؟ ومن بين هذه القضايا الملحة، الأوتنازيا أو موت الرحيم ملحة، لأنها ترتبط في الأساس بممارسة الطب وايضا بالبحث الطبي المستمر للقضاء على الأمراض المفضية إلى الموت وتحسين صحة الإنسان.

حالات الموت الرحيم اليوم تعرف تفاقما وتزايدا في كثير من دول العالم، وباتت ظاهرة لصيقة بالمجتمعات المعاصرة، وبالكيانات الإجتماعية التي أطرت الفرد المعاصر بالمنظومات

---

[1]– مؤمنون بلا حدود، بتاريخ 2023-03-05، 05:00 سا. www.mominoim.com

[2]– مؤمنون بلا حدود، بتاريخ 2023-03-05، 06:10 سا. www.mominoim.com

السياسية والتشريعية وتوجهات اقتصادية وسوسيولوجية، ورؤى أخلاقية وفلسفية متماهية مع تنامي التحرر الفردي والتراخي الأخلاقي الشيء الذي حفز بروز الظاهرة "الأوتنازية" وتكرارها وبعيدا عن تداخل والخلط بين موت الرحيم والانتحار وهو في اعتقادي تناظر ضئيل لا يورده الباحثون أو المهتمون بالمسألة، إلا من باب تعزيز مواقفهم، وحججهم المناهضة للموت الرحيم، فإن "الأوتنازيا" باتت معضلة، تفرض نفسها بإلحاح كلما طفت حالاتها على الساحة وتجددت المطالب بالتقنين والتشريع، قبولا أو منعا، وضرورة يقتضيها تسيير مرحلة نهاية الحياة.

معادلة الصحة واختلالها إلى التساؤل عن حقيقة الموت الرحيم وما يعنيه معا؟ يعرف موت الرحيم بأنه "تدخل طبي أو فعل التعجيل أو الإشارة المتعددة (المتروية) للموت بدافع الشفقة لمريض أي لتشخيص مصاب بمرض عضال أو مستعصي على العلاج (غير قابل للعلاج ولا جدوى من شفائه « Incurable » أو الدخول في حالة غيبوبة دائمة، أو طعن في السن، أصبح جسمه وعقله معا، هدفا لكل الأمراض، ومسكنا لكل الأوجاع، أو طفل ولد أو سيولد بتشوه خلقي بالغ الخطورة، أو بتخلف عقلي كبير، وبذلك بهدف تجنيبهم المعاناة والآلام المبرحة ما، بغرض تخليصه من الآلام، أو من وضعية حياة لاتطاق، فالغرض الإنساني واضح كما هو في الحياة هو كذلك في الموت، ويتمثل في الاشفاق على المريض مما يكابده من الآلام لا يطيقها، ولا يتحمل رؤية معاناته من يعالجه، ويقع" الأوتنازي" تحت مسميات عدة، تتم عن ظاهرة عن مواقف التأييد أو الرفض للفعل.

بعيدا عن التسميات والاصطلاحات التي تلحقه، وتبني قيم مجرد اللفظ والنطق به، قبل استحسانه أو استهجانه يجدر بنا أن نقف على ماهيته ودلالالته وبعيدا عن الحالات التي تجسد فيها أو لم يتجسد إذ أردنا بلوغ ميتائيته.

غالبا ما يكون الموت الرحيم أو التفكير به ناجم عن اعتقاد شبه راسخ، بفقدان الشفاء أو عجز الطبيب عن الإيفاء بوعوده حيال المرض الذي ينهش جسد المريض، فأين الحقيقة والكذب في علاقة المريض بالطبيب؟ هل يتوجب على الطبيب قول الحقيقة للمريض مهما تكن

هذه صادمة ومثيرة إلى حد اليأس؟ وهل يتوجب قولها للمريض مباشرة تجنبا للمس بكرامته وشخصيته؟ أم تبلغ إلى محيطه العائلي؟ حفاظا على معنوياته وخوفا من تدهور صحته إذا علم بالحقيقة، هل من حق الطبيب أن يحتفظ بها لنفسه وللطائم الإستشفائي باعتبارها سر المهنة، يخالف افشاؤه مبادئ وقواعد الممارسة الطبية؟

لكن في هذه الحالة أو تلك قول الحقيقة في علاقة الطبيب بالمريض ألا تبدو وكأنها لعبة خداع بين الإثنين؟ يخادع بها المريض نفسه أولا: حينما لا يريد أن يسمع من الطبيب إلا ما يتوقعه، من شفاء على لسان طبيب، ومن التقاليد المتفق عليها إلى حد ما، ألا يتوقع المرضى أن يسمعوا من أطبائهم كلاما عن اقتراب موتهم؟ يساير الطبيب هذه الرغبة غير المعلنة لدى المريض ويوهمه بالشفاء والتعافي، بل إنه من خلال تكوينه الطبي وخبرته يدرك جيدا ما ينتظره المريض منه، أو ما يطمح أن يخبره فنجده يتمادى في خداع المريض، فماذا ينجز عن ذلك؟ إذا اعتقد المريض أنه سيموت، ولكنه يسمع كلمات التي يمكن أن يضعها في الوعود بأنه لن يشعر بالمعاناة البدنية...

هكذا تتضاعف مأساة المريض، وقد تدفع الطبيب إلى تبني طرح الموت الرحيم ليس كحل لأنه لا يحقق مطلب الحياة، وبالتأكيد الحياة الجيدة المفعمة بالصحة إنما بتخليص المريض من آلامه وتحريره من أسر الشفاء الذي يلاحقه جراء المرض، الشفاء الذي يتجاوزه لمأخذ ما في أشمل من الفرد معنى إجتماعي وثقافي.

المبحث الثاني: قراءة في مؤلفات "محمد جديدي"

كتاب الفلسفة في 100 كلمة:

هذا الكتاب هو بمثابة مقدمة للفلسفة وهو علاوة على ما يحتويه من مفاهيم فلسفية جوهرية وأدوات مفاهيمية أساسية كشروط للدرس والبحث الفلسفي، فهو شامل يغطي تاريخ الفلسفة إذ تم تحليل وفحص المصطلحات الواردة في الكتاب من زاوية تاريخية لم تقتصر على مرحلة زمنية بعينها، وإن تمركزت بعض الشيء في الفلسفة المعاصرة إلا أننا واجدون في

ثناياها الفكر الفلسفي القديم اليوناني والروماني كما أن للفلسفة الوسيطية نصيب من الطرح والمعالجة ، إضافة إلى حضور فلسفات الحديثة بشكل لافت من دون إغفال – وان بشكل مقتضب وسريع– لجوانب مضيئة من الفكر الانساني كالفكر الشرقي أو الإسلامي من حين لآخر [1].

إذن يعتبر الكتاب مدخل للفلسفة ليس كمداخل الكلاسيكية التي تعرف بالفلسفة في بضعة مباحث جرى تقسيمها منذ زمن بعيد ولم تعد تفي بحاجة دارس الفلسفة وقارئها اليوم– وهو مدخل متميز بكونه نهج المقاربة مفتوحة ومتعددة، تأخذ بعين الاعتبار بمباحث الفلسفة المعروفة من انطولوجيا وابيستمولوجيا واكسيولوجيا[2].

لكنها في الوقت نفسه تلقي ضوءا على الكتابات المعاصرة واهتمامها بالثقافة والفنون والعلوم وتراعي التقدم العلمي والتقني الحاصل في القرن العشرين ولا سيما في ربعه الأخير حتى في بداية الألفية الجديدة وفيه تقطعات الفلسفة مع البيولوجيا والبيوتيقا أو كذلك مع السنيما والوسائط المتعددة وتمفصلاتها مع الرياضة والسياسة، وإلى حد كبير بالعدالة والتعاطف والتضامن، وباختصار بمواضيع وأشكال أخرى للتفلسف لم تعد مصحوبة بين دفات الدرس الأكاديمي والبحث النظري إنما صارت فلسفة للجمهور ولواقع الناس وهي أقرب ما تكون إلى ما يعرف بفلسفة اليومي[3].

لهذا فهو يطرح وجهات نظر فلسفية جديدة بالاستناد إلى فلاسفة الاختلاف "فوكو Foucault" ودريدا "Derrida وأيضا رؤى فلسفية عند "دولوز G.Deleuze"، "كواين W.Q

---

[1]– انظر: فريديريك وورم، الفلسفة في 100 كلمة، د. محمد جديدي، دار الأمان، الرباط، ط1، ص04.

[2]– نفس المرجع، ص05.

[3]– انظر: فريديريك وورم، الفلسفة في 100 كلمة، د. محمد جديدي، دار الأمان، الرباط، ط1، ص06.

Quine" على سبيل المثال ، ولكن أيضا بإرشادات هامة مثلا إلى "G.Agamben" مثلا أو "سيلارز W.Sellars "وهي على شكل مغاير لواقعنا، لذواتنا ولإنسانتينا بشكل عام[1].

يتميز هذا الكتاب بعدة مزايا أبرزها أنه:

- عمل معجمي مختصر في حجمه وشكله لكنه عميق في مضمونه وفائدته وهو كجل الأعمال المعجمية من تأليف مشترك ساهم فيه أحد عشر كاتبا أساتذة أكاديميون بجامعات فرنسية وأوربية وأمريكية ذوي تخصصات فلسفية وإنسانية دقيقة وأصحاب خبرة وكفاءات في الكاتبة والبحث[2].
- قام كل كاتب من الكتاب المشاركين في هذا العمل بتحرير عددا من المقالات بمثابة مواد أو مدخل عن مفاهيم والمصطلحات التي وزعت على كل كاتب وتراوحت بين ستة إلى عشرة مداخل في أغلبها منسجمة مع تخصص الباحث واهتماماته الفكرية.
- لئن كان العمل معجميا، فإنه مع ذلك لم يخلو من تقديم المادة من زاوية ماهي أقرب إلى مقاربة يقترحها الكاتب ولهذا لم يكن الكتاب وإن كان في شكله ومظهره معجما إلا أن منهجيته تبنت أسلوب التحليل والنقد وبالتالي فهي لا تقدم مادة بيداغوجية بقدر ما انها وجهة نظر بحثية وهذا ما يكتشف من قراءة مداخل الكتاب[3].
- جاء الكتاب[4] في عدد قليل من الصفحات بالكاد تقارب 130 صفحة وقد توزع على ثلاثة فصول خصصت للمعاني والمصطلحات والمفاهيم بحيث احتوى الفصل الأول على معاني مشتركة وعدد مواده 33.

---

[1]– نفس المرجع، ص06.

[2]–نفس المرجع، ص07.

[3]– نفس المرجع، ص08.

[4]– انظر: فريديريك وورم، الفلسفة في 100 كلمة، د. محمد جديدي، دار الأمان، الرباط، ط1، ص08.

- أما الفصل الثاني فقد اشتمل ايضا على 33 مادة وهو مخصص للمصطلحات التقنية بينما أفرد الفصل الثالث للابداعات المفاهيمية وقد تضمن كذلك 33 مدخلا[1].
- تراوحت لغة الكتابة بين البسيط أحيانا والمعقدة أحيانا أخرى، وفي اعتقادي إذ ذلك يرجع إلى طبيعة الكلمات الفلسفية ذاتها التي اختيرت لتكون قائمة الكلمات المائة فبعضها مستوعب في دلالته ومعناه أو في تداوله واستعماله وبعضها يستوجب انتباها خاصا لإدراك مضمونه خاصة ما كان مصدره لغة أخرى تزيد عملية الترجمة في اضعافه دلالته الأصلية أو قد تحيد عنها نقص في المفردات للغات المنقول إليها ومن ثم يجب التركيز على السياقات التي ترد فيها.
- لقد عملنا جهدنا حتى تكون النسخة العربية موفية بغرض الترجمة من نقل للمبنى والمعنن ، دون اخلال بأحدهما ولم تكن مهمتنا يسيرة البتة حول هذه النقطة، ولتحقيق غاية وضوح العبارة وفهم المعنى ودقة اللفظ واختيار الإستفادة بخبرات الترجمات السابقة للنصوص الفلسفية سواء لنا أو لغيرنا[2].
- علاقة الفلسفة بـ "الكلمات " من أبسط وأشد الأمور على حد سواء ما الكلمة في الواقع؟ ليست هي الوحدة البسيطة للغة بشكل عام، وفضلا عن ذلك فاللسانيات لا تعترف بالكلمات ككيانات نهائية، إنما بالأخرى وحدات للممارسة الملموسة (المادية) للغة، من خلالها يمكن لهذه الأخيرة الزعم بالتعبير علاوة على الممارسات والتجارب المادية للإنسان[3].

---

[1]– المرجع نفسه، ص09.

[2]– المرجع نفسه، ص10.

[3]– المرجع نفسه، ص14.

ومن ثمة تكون كل كلمات اللغة فلسفية، وقبل ذلك فعليا فالأكثر بساطة منها والتي تحيل الخبرات الأكثر عمومية، الحياة والموت[1]، المحبة والكراهة، العدالة والوجود وان نسيان الأفعال، الصفات، أدوات التعريف، الأدوات (من، إلى، بين، إلخ) والأمور الأخرى ستعثر في كل الحالات على معاني مشتركة من دونها لا يستطيع الناس التفاهم فيما بينهم لا يستطيعون سمعا ولا قولا.

لكل هل تجزيئي الواقع الذي تقترحه هذه المعاني المشتركة على الدوام مؤسس؟ فكل الفلسفة، وكل الفلسفة تطرح السؤال، تمر عبر هذا السؤال كل فلسفة متفردة تتضمن حتى، في هذا الصدد احتجاجا وإبداعا، توضح وتجدد هذا التقطيع، وترى أيضا في الكلمات بالمعنى الصحيح مفاهيم يمكن إعادة تعريفها وتحويلها، ابتكارها احيانا كذلك ستكون كلمات الفلسفة إذن إبداعات[2]، مفاهيمية، مؤرخة بل موقعة أحيانا وقد صارت مألوفة وغالبا تظل غريبة، مثل "الكوجيتو" عند ديكارت أو الـ "كوناتيس" لدى سيبوزا.

الفلسفة أيضا هي ممارسة دقيقة من بين ممارسات الناس التي لها "لغتها" ولها "كلماتها، ادواتها، مشكلاتها، تاريخها، وفي حدود 1900، أطلق لالاند Lalande وزملاؤه في الجمعية الفلسفية الفرنسية تسمية "المعجم التقني والنقدي للفلسفة، «Vocabulaires technique et critiques de la philosophie » أراد من ورائها ضمان (عبر مساهمة مشتركة) الموضوعية والدقة للمصطلح عليهم هنا بمصطلحات تقنية، فلا شيء أقل أو أكثر أهمية من المعاني البسيطة والمفاهيم المتفردة، فهي تمثل إذن نوعا ثالثا بين كلمات الفلسفة[3].

هل يتوجب علينا القول بدلا من ذلك عنصر ثالث، يجعل الإختيار المقترح أيضا من أصعب الخيارات هنا في انتقاء "100" كلمة للفلسفة؟

---

[1]– المرجع نفسه، ص14.

[2]– المرجع نفسه، ص15.

[3]– المرجع نفسه، ص16.

هذا هو مبدأ المعتمد على أية الحال، الذي سيفضي هنا إلى توزيع الكلمات 100 هذه إلى ثلاث مجموعات الأتية: معاني مشتركة، مصطلحات تقنية، ابداعات مفاهيمية، مكونة من 33 مدخل لكل واحدة "الكلمة " المائة والأخيرة ليست سوى فلسفة، إذا جاز التعبير شخصيا[1].

استجابة لاقتضاء الاختيار، وأخذا بعين الاعتبار على الأقل المبادئ، ذلك ما كان اذن المرجع المفارقة[2]، مضاعفة هذا الاقتضاء في الظاهر، لكن أيضا ابرز دروب (طرق)، وهذا لما تم تحقيقه بكيفية أخرى بتوزيع المهمة على أحد عشر مؤلفا الذين قبلوا المساهمة في هذا المجلد، سنرى كيف ساهم كل واحد من خلال اختيار تسع كلمات (ثلاث في كل فئة) رسم كل واحد هكذا خيار ثلاثيا يعكس بالتأكيد تخصصه الذي يشمل في مجموعته، تنوع الفلسفة وتاريخها، والذي يعبر عن تفرده (فكل واحد يرسم، بواسطة هذه الكلمات التسعة، مسارا فرديا ومعاصرا في الفلسفة وبالجملة صورة بهذه الأخيرة، اليوم)، مع العمل على ربطها بمثيلاتها عند الآخرين.

هذا الكتاب هو أيضا مجموع (بالمعنى الرياضي) هذه الخيارات حتى وان كان هذا غير مجد في ضرورة الاختيار، في النقائص التي تظل مفروضة، فإنه عل الأقل يقارب عبر هذا بمساعدة الشكل والأسلوب ووحدة المنحنى[3].

إن هذه الكلمات المائة ليست بالتأكيد الكلمات الأكثر هل يتوجب العمل، فحص واخيار التعاريف، مثل التي نجدها هنا الإستفادة منها في القراءة وفي الكتابة، في الكلمة وفي النقاش.

بالتاكيد أخيرا أن هذه الكلمات ليست مجرد كلما في الهواء، كما يقال سنرى مرور ممارسات مشتركة بين الناس، فضلا عن المسائل المحددة والإبداعات الفردية التي من خلالها يواجهها وبالتالي، في الواقع، فلسفة.

---

[1]– المرجع نفسه، ص17.

[2]– المرجع نفسه، ص18.

[3]– المرجع نفسه، ص19.

كتاب فلسفة الخبرة[1]: جون ديوي نموذجا

تعرف الفلسفة بوصفها شكلا من أشكال التعبير الإنساني، و تأرجحا وتضاربا في الأراء بخصوص ما ينبغي أن تؤديه من وظيفة، بحسب كل تيار أو مذهب فلسفي لها، فمنذ بداية التفكير الفلسفي تعددت الآراء وانتقلت حول الدور المنوط بالفلسفة، هناك من يجعل دورها هو التفسير وهناك من يحصره هو التغيير، والبعض يجعل مهمتها البحث عن الحقيقة أما البعض الآخر فيعتبرها احدى القنوات المساعدة على إيجاد أفضل الطرق الممكنة من أجل التقدم الإنساني، وسط هذه التصورات المتباينة وأخرى وغيرها تطرح التساؤلات حول مدى فعالية الفلسفة، وقربها من مشاكل الإنسان واتصالها بواقعه ذلك أن الفيلسوف غالبا ما يتسم بالانعزالية والبعد عن خبرة الناس وقضاياهم، فهو ذلك الرجل الذي يعيش في برج عاجي وفي قضايا تأملية ميتافيزيقية لا تمت بصلة إلى عالم البشر وأحوالهم.

لكن الفلاسفة لم يتوانوا في الدفاع عن دورهم الفعال ومساهمتهم الاكيدة في إصلاح مجتمعاتهم ودعواتهم المتنامية لتحرير الإنسان من كل أشكال التسلط والاستبداد وكانوا طليعة المنادين بالتقدم والتنوير، كلما أدل همت الدروب وسادت الفوضى وسلاحهم في ذلك العقل والحوار، لقد أدركت التيارات الفلسفية الحديثة والمعاصرة التي رفعت لواء الحداثة والعقلانية والإنسانية، هذه المهمة التي تنتظرها خاصة وأنها وجدت في فترة حرجة، نهاية القرن التاسع عشر بداية القرن العشرين، تميزت باقتراحات وتقدم علمي كبير، أزمات اجتماعية واقتصادية، حروب مدمرة... إلى غيرها من الظروف التي عرفها هذا القرن، فكان على هذه التيارات أن تضاعف جهودها لأخطار الناس بما يهددهم وإرشادهم إلى سبل الخير والجمال والحق.

إن البراغماتية واحدة من هذه التيارات التي لعبت دور حاسما وخطيرا في تاريخ الفلسفة المعاصرة لا لكونها فلسفة لدولة هي أقوى دولة في العالم الآن، إنما لكونها هي الفلسفة التي

---

[1]– أنظر: محمد جديدي، فلسفة الخبرة جون ديوي نموذجا، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص09.

أثبتت صحتها ونجاحها بجدارة لأنها نابعة من الإنسان ذاته[1]. ومن الواقع الملموس فالعقل الإنساني براغماتي وهذا ما أكده أصحابها أي البراغماتية في تشديدهم على أن البراغماتية قبل كل شيء هي طريقة جديدة في التفكير إنها موجودة وممارسة من قبل، لكن ما قاموا به هو أنهم أعلنوا وجودها الفعلي كمنهج في التفكير والسلوك.

لقد أرادت البراغماتية أن تعيد الفلسفة إلى الأرض وإلى مسارها الصحيح بعد الانحرافات والترددات التي حصلت في تاريخ الفكر البشري، بتدخل من قوى وسلطات حادث التفكير الفلسفي عن حادثه.

ولقد اهتمت البراغماتية بالإنسان الذكي الذي يتصرف بإرادة ومسؤولية اتجاه الأحداث والمواقف التي تفرضها عليه الطبيعة، مستخدمة كل ما حققه العلم من أجل إخضاع الطبيعة لسيطرة الانسان خدمة لأغراضه.

لم يكن البراغماتي فيلسوفا متفرجا على العالم، قانعا بمصير مجهول وغامض، بل اراد المشاركة الفعالة في صالح الحدث والحقيقة والتوجه إلى المستقبل بدلا من الركون إلى الماضي، وكان هدفه الأسمى توظيف فكره ومعرفته لصالح المجتمع وأفراده، إيمانا منه بأن عمل الفلسفة في القديم والحديث هو:" تنظيم تلك المجموعات من التقاليد التي تشكل العقل الفعلي للإنسان نحو التوجهات العلمية والتطلعات السياسية التي تعد غريبة ومتعارضة مع تلك التي تقول بها السلطات والفلاسفة جزء من حركة التاريخ يشتركون في صنع مستقبله بمعنى ما، ولكنهم بالتأكيد يعبرون عن ماضيه، وكانت الخبرة نقطة انطلاق الفيلسوف البراغماتي لانجاز هذه المهمة التي تصورها للفلسفة، ولم ينظر إلى الخبرة بانفصال وإنما رأى هذه علاقة بين الأنا

[1]– المرجع نفسه، ص10.

والآخر أي خيرة متفاعلة مع عالم مادي واجتماعي أو خبرة الانسان مع غيره من الكائنات والأشياء[1].

في هذا الكتاب حاول المفكر الجزائري محمد جديدي في مدخل وضع الدراسة في سياقها الفكري ألا وهو الإتجاه البراغماتي، تطرق فيه إلى المدلول البراغماتية اللغوي والإصطلاحي والأصول البيئية الفلسفية والعلمية التي انبثقت عنها البراغماتية والقواسم التي يشترك فيها أصحاب هذه الفلسفة أي خصائص التي تتسم بها البراغماتية، كما تعرض لنشأتها والمراحل التي مرت بها معرفا بروادها مبرزا مكانة الخبرة في الفلسفة البراغماتية عامة.

الفصل الأول خصصه لتعريف الخبرة من الناحية اللغوية والاصطلاحية وحدد فيه الإطار النظري الذي طرحت فيه مسألة الخبرة في الإتجاهين الفلسفيين العقلي والتجريبي، وهو ما أفضى إلى إشكالية يتعارض فيها العقل والخبرة نتيجة التصورات المختلفة للعقل في تاريخ الفكر الفلسفي، ثم بين كيف سعى "ديوي" إلى إزالة هذا التعارض من خلال تصوره الجديد للعقل كمنهج وذكاء، وقد صدر تصوره هذا عن تقدم العلم تجريبي والبيولوجي وتطور علم النفس، وهو الشيء الذي سمح بفهم وظيفي لدور الخبرة في اعتمادها على الذاكرة والعادة، ليس كبعدين ينتميان إلى الماضي وإنما بوصفها أجهزة وآليات للسلوك والنشاط.

أما الفصل الثاني فقد ناقش فيه علاقة الخبرة بالمنطق اذ ينظر الى المنطق بكونه يقابل الخبرة و يناقضها في الغالب ، وقد بينفيه وجهة نظر "ديوي" وموقفه من المنطق والنظريات المنطقية المختلفة ، بحيث جاء التركيز في هذا الفصل بصفة خاصة على موقف "ديوي" الرافض للمنطق الأرسطي من خلال الاختلافات التي تميزت الثقافة اليونانية عن الثقافة العلمية الحديثة، هذه الاختلافات تدور حول أربع نقاط أساسية هي:

- علاقة الطبيعة بالمعرفة.

[1]– المرجع نفسه، ص11.

- تصور الكم والكيف.
- مسألة العلاقات.
- الغائية والتغير.

بناءا على هذه الاختلافات تطرق إلى الإصلاح المطلوب في المنطق كما يراه "ديوي" وكيف ينبغي تحديد المنطق، وذلك بالعودة إلى الجذور التي انبثق منها المنطق وهي محددة في جانبين هما: الجانب البيولوجي والجانب الثقافي.

الفصل الثالث: عالج فيه مجالات البحث الابستيمولوجي لمنطق الخبرة، وذلك بتناول مفهوم المنطق عند "ديوي" الذي يعني في تصوره نظرية البحث، وحاول فيه ابراز مراحل هذا البحث ومقوماته التي تبدأ من موقف شكي أو المشكوك فيه إلى موقف مستقر و ثابت يتضمن اعتماد أو معرفة أو خبرة في هذا الفصل تتحدد خصائص المنطق بحسب تصور "ديوي" المنسجم مع نزعته الطبيعانية التجريبية « Empirical Naturalism » التي ترى أن المنطق دائم التقدم محدد بالطريقة الاجرائية وأن قضاياه شرطية افتراضية، وأنه اختار الحكم كمبحث منطقي لمعرفة كيف يصبغه "ديوي" بطابعه الأداتي وختم هذا الفصل بالتطرق إلى إحدى الإشكاليات الكبرى في الفلسفة البراغماتية أي الحقيقة لما أثارته من جدال[1]. ابيستمولوجي ومنطقي داخل الحركة البراغماتية ومع غيرها من الإتجاهات الفلسفية حتى تتجلى مساهمة "ديوي" في معالجة هذه الإشكالية[2].

أما الفصل الرابع فقد أفرده لمسألة المنهج لما لها من أهمية قصوى في "وسيلية" « Instrumentalisme » "ديوي"وسعى إلى تحديد مفهوم المنهج وصلة المنهج العلمي بالذوق الفطري، كما حاولت أن أبين المنهج العلمي في البحث الإجتماعي والصعوبات التي تواجهه،

---

[1]– المرجع نفسه، ص12.

[2]– المرجع نفسه، ص13.

وهذا على أساس تصور "ديوي" الداعي إلى اصطناع المنهج العلمي وتطبيقه على القضايا الاجتماعية والإنسانية، وقد اختار لهذا الغرض التربية كمثال تطبيقي وذلك لأنها تشكل نموذجا للبحث الإجتماعي وأيضا للعناية الكبيرة التي أولادها "ديوي" لها، فتطرق في هذا المضمار إلى تصور "ديوي" للتجديد التربوي بناء على رفضه التربية التقليدية ودعوته إلى إقامة التربية على أساس الخبرة من خلال مبدأين مهمين هما: التفاعل والاستمرار وكذلك في وصلة التربية بالبيئة الإجتماعية والديمقراطية وكل هذا في رأي يؤكد طابع الاجتماعي الذي اتسعت به فلسفته، وقد اكتفيتن بالتعرض للمبادئ العامة والأسس الفلسفية التي تقوم عليها التربية عند "ديوي" متفاديا الخوض في مسائل خاصة تندرج فيما يعرف بالبيداغوجيا أو علم التربية التقني[1].

وفي نهاية توصلت إلى خاتمة ضمنتها اهم النتائج التي توصل إليها من خلال الأعمال التي قاربها.

كتاب الترجمة رؤية فلسفية:

الترجمة: رؤية فلسفية: عنوان يصدق على جزء مما يحتوي عليه من صفحات هذا الكتاب، بينما يظل الجزء محل الأبحاث ودراسات غير منتهية، ذلك أن القول الفلسفي حول الترجمة أو في الترجمة وعن الترجمة سيظل مفتوحا ومستمرا ومتنوعا انطلاقا من الرغبة في تأكيد الاختلاف والتنوع اللغوي والتفسير المتعدد بغرض التعايش وعدم النزوع نحو الهيمنة إنطلاقا من اللغة وعبر الترجمة.

الواقع أم محتويات الكتاب هي مجموعة أوراق بحثية بعضها قدم في صيغة مداخلات وبحوث ضمن ملتقيات دولية ووطنية وبعضها الآخر شكل محور تأمل وتحري نظري[2].

---

[1]– المرجع نفسه، ص13.

[2]– المرجع نفسه، ص13.

وهو ما يفيد أن الترجمة حاصلة لا محالة ليس فعلا فحسب بل أيضا نظرا وتنظيرا تعرضه رؤية فلسفية مهما تعددت من خلالها طرق وآليات الترجمة، فهي تدعونا على الدوام إلى طرح السؤال الملازم لماهيتنا الهووية:

لماذا تترجم؟ وهو سؤال يتفرع إلى سؤالين اثنين لابد من الخوض فيهما، ما الترجمة؟ كيف تترجم؟.

وهو سؤال فلسفي بامتياز لم تتوقف –اعتقد– اذهان الفلاسفة عن الاشتغال به وعليه منذ القديم إلى اليوم[1]. ويشمل تقريبا على كل ما يتعلق بالترجمة فعلا أخلاقيا وعملية معرفية وممارسة ثقافية، وقيمة جمالية، وحوار وتواصلا بشريا، في التفكير وأداة في التقارب والتخاطب، وآلية منهجية في التعامل مع النص، وأسلوبا في التفكير، وأداة في التقارب والتخاطب، وآلية من آليات البحث عن المعنى وإثبات الوجود، وطريقة للتلاقح الحضاري بكلمة واحدة تلوح منها غاية الفلسفة الترجمة هي التقارب بين الشعوب وخلق عالم أكثر إنسانية يطمع فيه أفراده إلى العيش معا في رفاة وتقدم تؤهلهم والترجمة لقبول بعضهم بعضا بنبذ التعصب والتطرف، واحترام الآخر المختلف والاعتراف به كما هو... [2].

لاتزال إشكاليات الترجمة تتجدد في كل آن وتفرض تناول تجليات اسئلتها المتكثرة والمتفردة ما القول اليوم في ترجمة وتتيحها التكنولوجيات الجديدة عبر الحاسوب، وتتطور فيها البرامج لتقدم أفضل خدمة ترجمية، وهو سؤال يعيدنا إلى جدلية العقل البشري والآلة، هل ستتفوق الآلة على الذهن الإنساني؟ ستكون لديها قدرة تخزين مفردات تفوق قدرة العقل[3]، يؤهلها للقيام بترجمة جيدة تكون فيها كلمة الأخيرة لقوة ووفرة الثورة اللغوية على حساب المعنى،

---

[1]– المرجع نفسه، ص14.

[2]– المرجع نفسه، ص15.

[3]– المرجع نفسه، ص16.

أم ستمكن الآلة أيضا من خلال الذكاء الإصطناعي، من اصطياد المعنى ومتابعتة وفقا للسياق والأسلوب، وهو ما يجعلها في النهاية المطاف صاحبة القول الفصل؟.

امر من الصعب التنبؤ بما آلته، لكن المؤكد أن العقل الذي صنع الآلة وجعلها أداة مساعدة حتى في ترجمة لغته، قادر على قهر الآلة إذا أراد السيادة والحرية، اما إذا نزع إلى الكسل والخمول فتلك غاية من أهمها لجأ إلى الآلة بوصفها نسخة له أي ترجمة[1].

كتاب ما بعد الفلسفة مطارحات رورتية:

يضم هذا الكتاب بين طياته مجموعة من المقالات (عددها عشر) القاسم المشترك بينها ريتشارد رورتي عنوانها "ما بعد الفلسفة" لكونها فلسفة أخرى أو أنها فلسفة ليست كفلسفة وليست الفلسفة، وهي مطارحات رورتي الفلسفية أو يمكن القول أنها مطارحات رورتية لسببين:

لأن الفلسفة الرورتية تحرص دائما في مفرداتها على المحادثة التي هي مطارحة "Conversation" من حيث التواصل الذي كان لها مع فلسفات أخرى، سواء داخل الولايات المتحدة الأمريكية (البراغماتية، بوتنام، برنشتاين) الجديدة (رالف ب بيري) أو خارجها (الأوروبية – القارية–خاصة وبشكل أخص الفلسفات الألمانية: تتشه – هيدغر – فتغنشتاين، غادمير، هابرماس والفلسفات الفرنسية: فوكو، دريدا، ليوطار.

ولأن المطارحة تعني في اللغة تقديم الأفكار وطرحها للنقاش ومنها جاءت الأطروحة، أي الفكرة التي يطرحها صاحبها للنقاش ، والمساءلة[2]. ويدفع بها قدما في سياق تنافس الأفكار وصراعها، وبالتالي إجراء محادثة فكرية حقيقية ليست شعرية فحسب، وإنما ثقافية بصورة عامة وهو ما يتناسب مع فلسفة رورتي.

---

[1]– المرجع نفسه، ص16.

[2]– أنظر: محمد جديدي، ما بعد الفلسفة مطارحات رورتية، الدار العربية للعلوم الناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2010م، ص08.

إن طائفة من مطارحات رورتي ومحادثاته هي موضوع هذا الكتاب وقد خصصت هذه المجموعة من المقالات والمداخلات لمناقشة ودراسة جملة من القضايا الفكرية التي تناولتها فلسفة "ريتشارد رورتي"، فهي تتوزع بين مساءلات نقدية ومنهجية ولغوية ضمن طروحاته وأخرى تخص مسائل علمية وفقا لرؤية البراغماتية، حتى وإن ميزنا بين المظهرين النظري والعلمي لدى رورتي فإن ذلك في الغالب لايبدو جليا في عرف الفيلسوف[1]، ذلك أن رورتي لا يجنح كثيرا الى الغوص في الأمور النظرية والتنقيب المستمر في أعماق النظرية وهو كغيره من الفلاسفة البراغماتية يبتعد قدر جهده من الإلتفات إلى البعد النظري والذهاب إلى التجريد والتأمل، الفلسفة عمل ونشاط ضمن السياق الأنغلوسكسوني وهي إصرار على الممارسة والواقعية لدى البراغماتيين[2].

و اذ دأب الفلاسفة في عرفهم على اعتبار الحقيقة قضية جوهرية في الدراسات الفلسفية و أنهاذات بعد نظري بحث، فإنها في الواقع لا تبدو كذلك في نظر فيلسوف البراغماتية الجديدة، إذ لا يمثل ذلك الجانب النظري والميتافيزيقي لها بعد من أبعادها المتعددة وخاصة التطبيقية منها وإن لم تدرك بصفة مباشرة وعلى نحو جلي ويرجع ذلك إلى التقليد الفلسفي الغربي، الذي دأب على فصل النظر عن العمل لدى كثير من تيارات الفكر الفلسفي الحديث والمعاصر.

خلافا لذلك تحاول براغماتية "رورتي" وقبلها ذرائعية "ديوي" ردم هذه الهوة ووصل الجانبيين ضمن تصور أصبح هاجسه الأول: الإنسان في الواقع ،إنسان تاريخي، الإنسان صانع الحقيقة وصانع السعادة.

ومن ميزان الفلسفة الرورتية يمكننا أن نذكر ثلاث خصائص رئيسية:

---

[1]– المرجع نفسه، ص09.

[2]– المرجع نفسه، ص10.

- إنها فلسفة بلغة اللافلسفة، فهي من منطلق النسبية لا تنزع إلا أن تكون عنصرا أو صوتا داخل مضمار الثقافة الإنسانية ومن ثم دعوتها إلى محادثة لا تضم فقط المفردات الفلسفية بل تمتزج بمفردات الإنسانيات والأدبيات والفنون والعلوم حتى تكون محادثة دقيقة تعبر عن الفلسفة بخطاب لا فلسفي، في مشهد ثقافته شاعرية، ميتافلسفية، ميتادينية، ما بعد حداثية[1].
- إنها بعثت البراغماتية من سباتها وجمودها ومكنتها من نفس جديد، إذ بفضل جهوده الدؤوبة وحضوره المستمر في المنتديات العالمية بأوربا خاصة وأمريكا الجنوبية وبلاد أخرى (لبنان مثلا) وكذا كتابات الكثيرة التي دافع فيها عن البراغماتية تمكن من احياء البراغماتية وإلبسها ثوبا جديدا وحينها بناء على التطورات الحاصلة في البيئة المريكية أولا ثم العالمية ثانيا[2].
- إنها فلسفة تتقن لعبة القراءة والكتابة الفلسفية فمن يطلع على نصوص "رورتي" سيقف على تلك الخلفية النظرية التي تعج بأسماء الفلاسفة التي ملأت تاريخ الفكر الفلسفي الغربي من أفلاطون إلى ديوي بل حتى لبعض معالم الفكر الشرقي التي كان "رورتي" يقيم بها، الشيء الذي ساعده فيها على الكتابة الفلسفية من منطلق الإطلاع الواسع على مذاهب الفلاسفة ونظرياتهم وأيضا على طرائقهم في الإستدلال والحجاج[3].
- إنها فلسفة منفتحة على مختلف المواقف والآراء والأفكار ليس الفلسفية فحسب بل جميع ما يتعلق بالأداب والفنون، لذا فإنها فلسفة تدعوا إلى تجاوز الجدور المعرفية المصطنعة والتي وضعت باسم العلموية، أو باسم الموضوعية أو بإسم الصرامة المنهجية أو غيرها.

---

[1]– المرجع نفسه، ص11.

[2]– المرجع نفسه، ص10.

[3]– المرجع نفسه، ص11.

- إنها فلسفة تسعى إلى التوسط وتوفير جسور التواصل بين الفلسفات لاسيما في تلك الدعوة إلى تقريب بين الفلسفتين القارية (الأوروبية) والتحليلية (الأمريكية) فهذه احدى الميزات الهامة في فلسفة "رورتي" وبها تفرد على غيره من الفلاسفة الأمريكيين المعاصريين فهو أكثر الأمريكين أوروبية. في شخصية "رورتي" الفلسفية نلمس عناصر تركيبية اليسارية التي تتجلى في انجذابه نحو "تروتسكي" والعدالة الإجتماعية والتضامن كما نعثر على ترسبات الفلسفة التحليلية وتمكنه من طرائف التحليليين المنطقية واللغوية، إضافة إلى توجهاته البراغماتية التي دفعته إلى بلورة نظرة تاريخية عارضية للمجتمع الليبيرالي البرجوازي كذلك فهو الذي جمع في جنبات فلسفته مزايا الحداثة[1]. ومأثرها ووضعها جنبا إلى جنب مع إيجابيات ما بعد الحداثة وآفاقها الواعدة، لم يتوقف رورتي عند هذا الحد بل راح يبحث عن ما يعزز قوله الفلسفي لدى الواقعيين وفلاسفة الإختلاف (دولوز- فوكو- دريدا) وقبلهم أستاذهم الذي أنار لهم سبل النقد والتحكم، علاوة على هذا لا يتوانى "رورتي" ولا يخشى من اتهامات خصومه إذا عاد إلى الأدباء والروائيين والشعراء مستلهما منهم الدرس الذي يعوز الفلسفة [2].

كتاب الفلسفة الإغريقية:

ما من بلد ارتبط اسمه بالفلسفة كبلاد اليونان فبغض النظر عن الميزات الأخرى التي حظي بها هذا البلد الثقافية منها والطبيعية تأتي الفلسفة في مقدمة هذه المميزات ولم يسبق لشعب من شعوب العالم قديما ان اقترن اسمه بالتفلسف كما حصل مع الإغريق.

لقد ساهم الإغريق كغيرهم من الأمم في انشاء وانضاج الجهد الفلسفي بقسط وفير وأصبحوا نواته الأساسية وأرضية الصلبة.

---

[1]- المرجع نفسه، ص12.

[2]- المرجع نفسه، ص13.

لكن مع هذه الأهمية التي تكتسبها الفلسفة الإغريقية بالنسبة للفكر الفلسفي عموما إلا أنها لم تحظ بالقدر الكافي من التأليف الفلسفي حيث أن أغلب ما ينشر فلسفيا يتجه صوب الفلسفات الحديثة والمعاصرة عربية أو غربية بينما يبقى الفكر الفلسفي الإغريقي بعيد عن جذب الاهتمام عدا بعض المحاولات التي لم تخرج عن دائرة الندوة والتي تبرزها هنا وهناك في وطننا العربي من حين إلى آخر وهي محولات هامة وتحتاج إلى مزيد من الاعتناء والتقدير[1].

ليست الفلسفة الاغريقية حقبة تاريخية فكرية قديمة وفق ما يعرف أو ما يصطلح عليه في تقسيمات المؤرخين بفكر قديم وآخر حديث، إنها ليست فلسفة قديمة عفى عليها الزمن ولم تعد لنا حاجة بها أو أنها خالية من قيمة وأثر بل انبثق رواتها وكنوزها القيمة لا تتبع من وجهة نظر المؤرخ بحسب تصور "ولتر سنيس" أو المتهم بالتراث القديم فحسب ، وهي من وجهة نظر الفيلسوف أشياء حية بمثابة حقائق في واقع الحياة والثقافة تبعا لهذا ليست دراسة الفلسفة الإغريقية ترفا فكريا وهي كذلك ليست قصصا تروى للتسلية بقدر ما هي دروس ونماذج فكرية للتأمل وللإعتبار إنها أكثر من كونها مادة معرفية ومضمون فكري يعرض للتلقين والحفظ وهذا الجانب هام لكن الأهم منه[2] فيما تمثله هذه الفلسفة من عودة إلى التأمل والتفكير الواعي واليقظ بالطرائق والآليات التي توصل من خلالها فلاسفة الاغريق ومثقفيها إلى تلك مواقف والأفكار التي ظلت خالدة تجوب آفاق الزمان والمكان وتملأ صفحات الكتب تتداولها مؤلفات الفلسفة والتاريخ والآداب والعلوم والفنون، وفي أعظم درس يستفاد من الفلسفة الإغريقية[3].

ندرك أن هذا الكتاب لم يشمل جميع مناحي التفكير الفلسفي الإغريقي فقد اقتصرنا على أهم محطات الفكرية والتاريخية وحسبنا أننا وقفنا فيما اخترناه من نماذج لتمثيل الاغريق فلسفيا

---

[1]– أنظر: محمد جديدي، الفلسفة الإغريقية، دار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 1430هـ–2009م، ص11.

[2]– المرجع نفسه، ص12.

[3]– المرجع نفسه، ص12.

على أننا نأمل أن يتبع في المستقبل بطبعة تشمل ما سقط من نماذج فلسفية وفكرية يونانية لها وزنها ومكانتها الفلسفية ضمن خريطة الفكر الفلسفي اليوناني[1].

كتاب الأفق البيوتيقي الجزء الثاني:

ان الأفق دوما يعني أفق الرؤية وهي في حالة يقظة وانتباه إلى ما يطرأ وما ينجس، إلى ما ينبغي فعله لوحدت، إلى كيفية مجابهة ما يستجد من هذه الزاوية يكون الأفق مفتوحا على احتمالات ليست معطاة وأكيدة سلفا، فهي كالتوقع في نتائج البحث العلمي نتائج تتراوح بين ما يتمنى الباحث تحصيله جزاء خطته وتوقعاته وبين ما تستقر عنه إجراءاته البحثية فعليا.

لا شك أن هذه المعاني التي نضيفها على الأفق، تنتهي كذلك عند معنى الطموح اللامشروط بتغيير الوضع الإنساني كلما توتر وتأزم ليجد منفذا له من ضيق الأفق إلى سعته، وذلك ما دأبت البيوتيقا على تجسيده في نقاشاتها كلما طفحت على واقع الإنسان مشكلات تسبب فيها المعارف والتقنيات المستجدة وسعت عبر المحادثات الإتيقية المتعددة إلى إيجاد توافقات وحلول لها.

منذ أن برزت البيوتيقا قبل خمسين عاما على يد "فان راسيلابوتر" « Van Renselaer Potter" » ، كأفق في الزمان، إذ تجلت في مرحلة دقيقة من حياة البشرية وهي على أعتاب ألفية جديدة، وكأفق معرفي، حيث بدت المعارف وهي تبليغ نشأ غير مسبوق من حيث الكم والتقدم إلى حدا الازدهار، كأفق إنساني ذلك ما تعد به كلمة أفق بذاتها، حيث يمكن للإنسان أن يتدارك أخطاءه ويرمم علاقته مع بني جنسه ومع بيئته، وكأفق مكاني من جهته السباقات والممارسات البشرية بظهورها في بيئات بعينها وانتشارها في أخرى[2].

---

[1]– المرجع نفسه، ص13.

[2]– أنظر: محمد جديدي، الأفق البيوتيقي، ج2، دار رميم للنشر الجزائر، ط1، 2021، ص11.

ان الأفق هو أفضل لفظ وأجدره بتصدر عنوان هذا الجزء من كتاب الأفق البيوتيقي، إيمانا مني بأن البيوتيقا تظل على الرغم من مسيرتها القصيرة والمكثفة في آن واحد، قصيرة زمنيا ومكثفة مقارباتيا، الإنسان وقيمة برأب صدع ما تهدم من علاقة الإنسان بالإنسان وإعادة اللحمة إلى ما تمزق من صلة الإنسان بالبيئة[1].

كان حلم بوتر "مؤسس البيوتيقا" أن يدفع بالبيوتيقا نحو هذا الأفق المليء بالتفاؤل وبإمكانية تدارك ما عطل مسيرة الإنسان نحو تقدم حقيقي لا تقوده المعارف العلمية وحدها ومن دون قيم مرشدة ومطعمة للعلوم في فتوحاتها عن ربطها بالفعل الأخلاقي ومحفزة للبشرية على المضي قدما في تجسيد أفقها[2].

في هذه المحاولة الجريئة التي دشن خطورتها الأولى بوتر، ساعيا لمدة جسور تعاون وانفتاح متبادل بين نسق العلوم (البيولوجية والطبية خاصة) والنسق المتنامي للبيوتيقا عالميا، ما ينم عن وعي انساني كبير بأهمية مراجعة الذات وتصحيح وضعية الإنسان ومكانته في الكون ومراعاة علاقاته المتعددة، بوصفه كائن حي طبيعي ضمن منظومة الكائنات الحية الاخرى ووضعا في إطارها التاريخي وتنوعها البيئي ومنزلتها الكوسمولوجية.

تشكل مقالات هذا الكتاب في مجموعها ثلاث محاور كبرى أو يمكن تصنيفها كذلك وهي:

1-خلفيات فلسفية وإتيقة.

2-إرهاصات وتطورات بيواتيقية.

3-تساؤلات وإشكاليات بيواتيقية.

---

[1]- المرجع نفسه، ص12.

[2]- المرجع نفسه، ص13.

في المحور الأول: أي خلفيات فلسفية وإتيقية وتمثل الأرضية الفلسفية التي مهدت الطريق لإثارة السؤال الأخلاقي مجددا مع ثورتي علوم الحياة والطب ضمن سياق إجتماعي وثقافي تدافع لتحيين الأخلاق تارة ولتحييدها تارة أخرى[1]. وضمن هذا الصدد عندنا المقالتين: الأولى "الوضعية الحالية للفلسفة الأخلاقية بين كانط وديوي" للفيلسوف الأمريكي ريتشارد رورتي Richard Rorty والمقالة الثانية "في أخلاق للزمن الحاضر؟" قراءة زيغمونت باومن للباحث الفرنسي "بيار انطوان شاردل Piorre Antoine chardel "[2].

المحور الثاني: إرهاصات وتطورات بيواتيقية الذي ضمنها مقالات خمس تناولت نشأة البيوتيقا وتطورها وعلاقتها بالدين ووضعيتها المتأرجحة بين التأييد والرفض، بين اليأس والطموح، وهي مصاغة كالأتي: "بروز البيوتيقا" للكاتب لازاربوناروبو « La zore benaroyo » ثم تعريف البيواتيقا العودة إلى المصادر "للفيلسوف البلجيكي جيلرهوتوا « Gilbert hottois » يتبعها "أركيولوجيا البيوتيقا" للأستاذ غيوم لوبلان « Geuillaume de blanc » وبعدها مقال استاذ البيوتيقا الكندي هيبر دوسييه « Hubert Doucet » "ثلاثون سنة من البيوتيقا" يعقبه مقال الطبيبة والفيلسوفة الفرنسية آن ذاغولارجو « Anne Fogot largeault » حول "مصير البيوتيقا يتبعه مقال الحقوقي الفرنسي كريستان بيك « Ghristion byk » وكلمات البيوتيقا: إظهار الواقع أم اخفاؤه" ليردفه بحث الفيلسوف الكندي غي ديران « Gey durand » بعنوان "بؤس البيوتيقا وعظمتها وأخيرا ضمن هذا المحور كتب الأستاذ هيبردوسيه Hubert Doucet "اللاهوت وتطور البيوتيقا الأمريكية".

أما المقالات المتبقية فتقع داخل محور التساؤلات واشكاليات بيوتيقة، وهي بمثابة مساءلات حول التقدم وتعدد المعيار ومفهومي الكرامة والطبيعة البشرية، تسائل هذه المواضيع

---

[1]– المرجع نفسه، ص12.

[2]– المرجع نفسه، ص13.

طروحات العلميين وصلتها بالاخلاق وجدوى إثارتها، لا سيما مع تزايد الأصوات المحتجة والمطالبة بكبح جماح التقدم العلمي، يتعلق الأمر بداية بمقال "هل تقبل بتقدم في العلوم البيوطبية من دون آخر اتيقي؟"[1]. للفيلسوف السويسري لازاربناروبو « La zare bonaroyo » ثم مقال الدكتورة الفرنسية المختصة في الأخلاق والإتيقا التطبيقية فاليري غاتو « Valerie gateau » عن :" التعددية المعيارية في البيوتيقا: رهان ميتابيو اتيقي"، يتبعه سؤال آخر:" هل مفهوم الكرامة البشرية عديم الجدوى في البيوتيقا؟"[2].

للكاتب والمحامي الأرجنتيني روبوتو أندورنو « Roberto andorno » وتختم هذه المقالات بمناقشة تخص الطبيعة البشرية وتحسين الكائن البشري في ضوء البرنامج ما بعد الإنساني" لأستاذ الفلسفة والباحث الفرنسي جان إيف قوفي « Jean Yves Goff » في كلمة أخيرة يمكن أيضا الأفق البيوتيقي في ترجمة هذه النصوص من زاوية مزدوجة أولا لأن الفعل الترجمي بحد ذاته يحوز على اتيقاه في محاورة النصوص وجعلها تنتقل ومعها الأفكار من بيئة لأخرى ومن ثقافة لثقافة أخرى وفي هذا العمل تحدد إطار لأخلاقيات الضيافة والاستضافة اللغوية والفكرية.

وثانيا: لأن فعل الترجمة هذا، سيساعد لا محالة في فك الحصار على النص البيوتيقي العربي الذي لا يزال يشكو انهيارا وضمورا وشحا وعليه فهو يساهم في تعزيز حضور البيوتيقا كأفق لنقاش والحوار حول قضايا التي تهم المواطن والمجتمع عبر اسهامه المرغوب في ما خلفته العلوم والتقنيات المتطورة من نتائج وأثاره على حياة الإنسان والبيئة[3].

كتاب ما البيوتيقا؟

---

[1]– المرجع نفسه، ص13.

[2]– المرجع نفسه، ص14.

[3]– المرجع نفسه، ص14.

لم تعد البيوتيقا Bioethics الأخلاق الحياتية أو الحيوية كما تصطلح عليها بعض المراجع العربية، مجهولة مثلما كانت عليه في بيئتنا العربية بداية الألفية الجديدة أو على الأقل قبل عقدة من الزمن.

كانت البيوتيقا غير معروفة بما يكفي في الاوساط الجامعية، بين الباحثين والطلبة، ولئن كانت إلى حد ما مألوفة لدى فروع علمية بعينها كالطب والبيولوجيا والحقوق والعلوم الدينية، بحكم تقاطع دراساتهم وأبحاثهم مع قضايا البيوتيقا وارتباطها بديونطولوجيا ممارساتهم المهنية (كالاتيقا الطبية للأطباء وصلتها بالعدالة والقانون لدى الحقوقيين أو بأخلاق البحث العلمي لدى علماء الأحياء وبقضايا الافتاء والاجتهاد الفقهي لدى علماء الدين والفقها[1]. فإنها بقيت نبعة جرداء في حديقة الفلسفة ولم تزهر إلا في حدود جدلية قديمة متجددة أي جدلية العلم والقيم.

يهدف هذا الكتاب إلى محاولة تقريب البيوتيقا من الواقع أقصد واقعنا المحلي لا تجعلها عنصرا يضاف إلى ديكوره بل بطرحها كرافد حقيقي لنقاشات عميقة حول قضايانا الاجتماعية والإنسانية في الحياة والموت، في الصحة والعلاج، في الحقوق والعدالة، في التربية والبيئة في المسؤولية والسعادة في الفعل والسلوك ...إلخ[2].

لا مندوحة من القول أن واقعنا لا يزال يشكو نقصا بخصوص الأخلاق الحيوية وغموضها والتباسها وعليه يأتي هذا الكتاب ليزيل عنها شحا وضمورا في المكتبة العربية، كما أنه يسعى إلى تحديدها مفهوميا وميدانيا وإضافة نص جديد يرفع من أهمية وقيمة البيوتيقا وحضورها في الساحة المعرفية وفي المشهد الثقافي العربيين، إذ ومهما يعاني منه واقعنا من نقص كبير في مجال الكتاب البيوتيقي (لو أحصينا ما كتب بالعربية عن البيوتيقا قليل جدا في حق فرع يعرف ازدهارا وانتشارا فاق الحدود في ثقافات وبلدان أخرى غير عربية، ومع ذلك فهي

---

[1]– أنظر: محمد جديدي، ما البيوتيقا؟ منشورات الوطن اليوم، سطيف، جزائر، 2020، ص09.

[2]– المرجع نفسه، ص11.

مؤلفات لها مكانتها وريادتها ليس في فتح الطريق أمام اهتمام بيوتيقي يعرف إنسانية واجتماعية هامة، نذكر من هذه المؤلفات على سبيل المثال مؤلف د.عمر بوفتاس: البيوتيقا الأخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجيا (2011) وكتاب "د.نورة بوحناش " "البيوتيقا والفلسفة، من الانسان الفائق إلى الإنسان المتزكي" (2017) وأيضا كتاب "د.مختار أعريب"، "البيوتيقا بين البيوتقنية والمبادئ الإتيقية" (2018) علاوة على نصوص أخرى تعد على أصابع نشرت بتونس والأردن ومصر ولبنان وهي قليلة جدا، وفي أغلبها تكون البيوتيقا مبثوثة في ثناياها ومتناولة كحديث جزئي عن الأخلاق في «إطار كلاسيكي مقارنة على ما هي عليه الكتابات والمنشورات الخاصة بالبيوتيقا في دول العالم الغربي وحتى الأسيوي [1].

كتاب: البيوتيقا الطبيعة– المبادئ– الرهانات

بالنظر إلى تطور المعارف في الأنثروبولوجيا الطبية وفي الطب يمكننا أن نحكم فإن هذا الكتاب قد تقادم نوعا ما، صحيح أن التطبيقات تتغير لكن المبادئ تبقى ثابتة فإزاء سرعة تطورات المعارف والتكنولوجيا صرنا بحاجة أكثر فأكثر في تفكير اتيقي، بل حتى إلى مبادئ اتيقية وعلى اعتبار ان "المبادئ" ليست قواعد مفروضة، أو قرارات استبدادية إنما الأخرى هي علامات تفكير ناجمة عن العمل النقدي لأسلافنا ومعاصرينا في الإنسانية[2].

إذن يهدف هذا الكتاب – كما يدل على ذلك عنوانه– إلى تقديم صورة شاملة ولكن مقتضية عن البيوتيقا، ويتناول بالتعريف والتحليل والنقد طبيعة البيوتيقا ومبادئها ورهاناتها، وهو في الحقيقة يمثل كتابا اوليا أو مدخلا لكتاب أعمق وأشمل وأكبر نشره المؤلف سنة 1999 أي صدور الكتاب الأول بعشر سنوات وعنونه مقدمة عامة للبيوتيقا: التاريخ، المفاهيم والأدوات

[1]– المرجع نفسه، ص12.

[2]– المرجع نفسه، ص27.

ويقع في 565 صفحة، لذا إذا قارناه بالكتاب الأول أي سنة 1989 كانت لا تزال في بداياتها ولم تعرف نسبيا ذلك الرواج كما بدأ يلوج في نهاية الألفية المنصرمة وبداية ألفية جديدة.

بناءا على ما سبق أراد الكاتب أن يبين طبيعة البيوتيقا ويزيل اللبس عن صلتها بالأخلاق والإتيقا والديونطولوجيا وكل ما تتصل به من مسارها ليس من الناحية التاريخية فحسب بل كذلك من خلال مختلف المقاربات التي أدلت بدلوها في موضوعات شائكة تناولتها البيوتيقا وأيضا في المبادئ الأساسية التي ترتكز عليها، لكونها خطوطا موجهة للبحث والدرس البيواتيقي، وانتهى الكاتب إلى استشراق الرهانات، ليس من زاوية رؤية مستقبلية فقط، ولكن من منطلق واقعي حملته مختلف المشاريع والمؤسسات والهيئات والبيوتيقية، التي عدد نماذجها في كثير من البلدان وخصوصا دول الشمال الأطلنطي: أمريكا وكندا فضلا عن البلدان الأوروبية وعلى خصوص فرنسا، بلجيكا وألمانيا.

فقد أعطى الكاتب صورة جلية عن البيواتيقا وهي طبعا الصورة التي تحاول كل من يريد الإطلاع على البيوتيقا استحضارها في ذهنه، وهنا تكمن أهمية وقيمة هذا الكتاب الصغير في حجمه والكبير في فائدته[1].

[1]– المرجع نفسه، ص28.

الفصل الثاني

المفاهيم البيراتيقية في تصوراته

محمد جديدي

تمهيد[1]:

لم يقف رغبات الإنسان اللامتناهية عند حدود السيطرة على الطبيعة المادية فقط، بل تعدتها إلى السيطرة على الكائنات الحية انطلاقا من "البيوتيكنولوجيا" التي اتخذت من بنية ووظائف الكائنات الحية موضوعا لها، خاصة بعد الثورة البيولوجية والمألات التي انتهت إليها، حيث سعت إلى التحكم في البنية الداخلية لهذه الكائنات من خلال الهندسة الوراثية والاستنساخ والتلقيح الصناعي، ولم تتوقف عند هذا الحد فحسب، بل سخرت العلم للحد من الحياة من خلال موت الرحيم، الإرهاب البيولوجي الذي يهدد بدمار الجنس البشري، وقد عرجنا في هذا المبحث على التطور التاريخي أخلاقيات الطب وأهم الموضوعات التي تطرقت إليها البيوتيقا والمخاطر التي تشكلها على مستقبل الإنسان، من خلال مبحثين اساسين، ما البيوتيقا؟ والمفاهيم الأساسية للبيوتيقا.

[1]– عبد الله مصطفى، البيوتيقا وعلاقتها بالتطبيقات البيوتكنولوجية ضمن مجلة العلوم الإنسانية لجامعة أم البواقي، العدد2، سنة 2020، (ب.ص)

المبحث الأول: في مفهوم البيواتيقا

1.ما البيوتيقا؟

يقتضي السؤال عن البيوتيقا في صيغته الاستفهامية ما البيوتيقا؟ حتما إلى تنقيب والحفر في نشأتها وإرهاصاتها، عن جذورها وتجلياتها بطبيعة الحال، تتضمن النشأة سؤال "متى" و"أين"؟ وهو سؤال يتناول التأسيس الزماني والمكاني إذ لا تأسيس من دون هذين العنصرين في العقل والواقع إضافة إلى الفكرة والمعنى، أي ما معنى البيوتيقا؟ أو ماذا يعنيه هذا المصطلح الجديد؟[1]

ان مصطلح بيوتيقا مركب من كلمتين "Bios" التي تعني الحياة و "Ethos" والتي تعني إتيقا، وبالتالي فإنه يعني الحياة، إنه مبحث اتيقي لأنه جزء من الفلسفة التي تعني بدراسة أخلاقية السلوك الإنساني[2].

نحتت كلمة "بيوتيقا" من مصطلحين اغريقيين بيوس–إيتوس « Bios– ethos » (حياة إتيقا) « Vie – ethnique » وكانت موازية للبيوتكنولوجيا الحيوية وللبيو – طب (البيولوجيا– الطبيعية).

فهي تشير إجمالا إلى التفكير المهيمن منذ عشرين سنة على مختلف الحقول الفرعية حول المسائل المطروحة من قبل التقدم البيوطبي.

غير أن شعبية الكلمة (أي البيواتيقا) وطبيعتها لا يمكن أن تفهم إلا قياسا على الألفاظ أخرى وفروع أرادت البيوتيقا أن تتميز منها وأن تحل محلها، لكنها بقيت مستمرة تشغل شطرا من الساحة: الأخلاق، الإتيقا، ...) [3].

---

[1]– محمد جديدي، ما البيوتيقا؟ منشورات الوطن اليوم، سطيف الجزائر، 2020، ص5.

[2]– مختار عريب، البيواتيقا بين البيوتيقية والمبادئ الإتيقية، دار الروافد الثقافية، بيروت، لبنان، ط1، 2018، ص72.

[3]– غي ديران، البيواتيقا: الطبية المبادئ، الرهانات، ت: محمد جديدي، مومنون بلاحدود، الرباط، المغرب، ط1، 2015، ص35.

2.مصطلحات متداخلة:

استعملت مصطلحات متعددة ومتداخلة للتعبير عن هذا المجال الجديد من البحث مثل: علم الواجبات Déontologie، الإتيقا البيوطبية Ethique bio-Médical الأخلاق Morale وأخيرا إتيقا Ethique، أين تكمن أوجه التداخل بين هذه المصطلحات، وأين تكمن أوجه التمايز بينها؟.

ان نقطة الالتقاء بين كل ما تعبر عنه هذه المصطلحات من مباحث تتمثل في الإنسان وما يمثله من قيم، وبالفعل فإن أي مبحث من هذه المباحث يهتم بالإنسان سواء كان من قيم في علاقته الداخلية مع نفسه أو في علاقاته الخارجية مع الآخرين وذلك في مجال معين من مجالات العلاقات الإنسانية وفي نشاط معين من الناشطات الانسانية[1].

ولتوضيح هذا يجب عرض كل مصطلح على حدى لتبيان ما يحمله من معنى وتحديد مجال نشاطه[2].

1. **علم الواجبات Déontologie:** مصطلح مأخوذ من الكلمة الإغريقية Déon « Déontos الذي يعني مجموعة من القواعد تحدد السلوك الانساني مثل: الواجب، الإلزام، وعموما ما يجب فعله، بالرجوع إلى أصل الكلمة نجد أن معناه مرادف لمعنى مصطلح أخلاق، ومصطلح إتيقا تقريبا، هذا ما دفع بعض الباحثين إلى استعمال المصطلحات الثلاثة وكأنها ذات دلالة واحدة.

لكن من الناحية التاريخية ارتبط المصطلح بسرعة بالوظائف الليبيرالية التقليدية، الطب، الحق، كتابة العدل (Notariat) ثم امتد إلى قطاعات أخرى من الوظائف مثل: الإسعافات المقدمة للمريض من طرف الممرضة «nursing» الهندسة المعمارية...

---

[1]- مختار عريب، البيواتيقا بين البيوتيقية والمبادئ الإتيقية، دار الروافد الثقافية، بيروت، لبنان، ط1، 2018، ص59.

[2]- مختار عريب، البيواتيقا بين البيوتيقية والمبادئ الإتيقية، دار الروافد الثقافية، بيروت، لبنان، ط1، 2018، ص60.

إلخ، هنا أصبح المصطلح يشير إلى مجموعة الواجبات الطبية «Déontologie Médicale » الإتيقا البيو-الطبية « Ethique Bio Médicale » والأخلاق الطبية « Morale médicale ».

وقد دونت النتائج المتعلقة بالتفكير في هذا المجال في قوانين سميت "قوانين الواجبات" اعتمدتها رسميا بعض القطاعات المهنية وأصبحت تتسم بالطابع الاجباري بالنسبة للأعضاء المنتسبين القطاعات ويعاقب كل من لا يحترمها.

هذا ما أعطى لهذه القوانين الخاصة بالواجبات المهنية معنى مزدوجا: من جهة انها تعبر عن قواعد إتيقية وأخلاقية معنية وتمثل قواعد إدارية تهدف إلى تحقيق النوعية في ممارسة مهنة معينة وكذا تقديم صور مشرفة عن سمعة الحرفة «Corporation» ومن جهة أخرى، فإن هذه القواعد يفترض أنها تكون معتمدة من طرف سلطة بطريقة رسمية ... وأنها تحدث اجماعا من طرف أعضاء المهنة [1].

2. **الإتيقا البيوطبية «Ethique Bio Médicale»**: برز هذا المصطلح منذ سنوات في مجال العلاج الطبي كنتيجة لتطور الحاصل في المجال البيوطبي ويحيل إلى مصطلح إتيقا لكن مع حصر استعمالاته في المجال البيوطبي.

لكن هذا المصطلح رغم ما يوحي من إبداع في مجال البحوث الخاصة بالإنسان والحياة النوعية فإنه يبقى مشحونا بالغموض، وبالفعل فإنه إن كان يعني الإتيقا الخاصة بالأطباء فإن هذا بعني أنه يخص فقط إتيقا مهنية بالمعنى التقليدي لهذه الأخيرة أما إذا كان على عكس من هذا يعني بالأحرى الإتيقا الخاصة بالمجال الصحي، فإن مجال يتسع في هذه الحالة ويلتقي بالمجال الذي تهتم به البيوتيقا أي تلك المقاربة العامة للإشكاليات الإتيقية الحالية المطروحة على المستوى العالمي والخاصة بالميدان الصحي

[1]– مختار عريب، البيوتيقا بين البيوتيقية والمبادئ الإتيقية، دار الروافد الثقافية، بيروت، لبنان، ط1، 2018، ص61.

ونوعية الحياة، وكنتيجة لهذا فإن هذا المصطلح (الإتيقا البيو- الطبية) غامض « Ambigu » في أحسن الحالات[1].

3. **الأخلاق Morale**: الأخلاق مصطلح لاتيني مشتق من كلمة Mos Mores التي تعني العادات السلوك في الحياة، قواعد السلوك، وبهذا فإن للمصطلح الأصلي معاني واسعة إنه يحيل إل السلوك الإنساني وإلى خياراته الجودية وكنتيجة لهذا يحيل إلى معايير « Normes » وقواعد سلوكية وإلى مبادئ وقيم، إن الأخلاق ترتكز على فكرة محورية تدور حول الفعل الإنساني، حول الأفعال الإنسانية، مرجعيتها في ذلك تتمثل في فكرة الخير والشر، أي ما يجب فعله وما يجب تفاديه لكن هذه المرجعية في الدراسات الأخلاقية تتعدى الجانب العملي للوصول إلى مستوى التنظير[2].

وبالفعل فإن الأخلاق أولا قبل كل شيء عبارة عن بحث مفتوح وليست عبارة عن طابوهات أو قواعد تعسفية تحدد السلوك الانساني بطريقة عمياء، إنها عبارة عن البحث عما يجب فعله لأنه يمثل فعل الخير: "الأخلاق عبارة عن نظرية تدرس السلوك الإنساني كسلوك محدد بالواجب، ويهدف إلى فعل الخير، وبعبارة أخرى، إنها تمثل مجموعة من المبادئ التي تحدد الأحكام والسلوكيات التي تفترض على السلوك الفردي أو الجماعي وتكون مبنية على الإلزام الخيري"[3]. لكن هذه القواعد التي تتجسد عادة بطريقة تظهر عفوية في عادات حسنة لا تثير تفكيرا نقديا يمكنه أن يعيد النظر فيها بطريقة جذرية تمثل رغم ذلك نوعا من البحث النظري لأنه قبل أن تصل إلى هذا المستوى من القبول للقواعد والقيم الأخلاقية كان من الضروري معرفة هذه القواعد وهذه

---

[1]- مختار عريب، البيوتيقا بين البيوتيقية والمبادئ الإتيقية، دار الروافد الثقافية، بيروت، لبنان، ط1، 2018، ص61.

[2]- مختار عريب، البيواتيقا بين البيوتيقية والمبادئ الإتيقية، دار الروافد الثقافية، بيروت، لبنان، ط1، 2018، ص72.

[3]- مرجع نفسه، ص61.

القيم أي طرح إشكاليات تتعلق بأسئلة يجب الإجابة عنها وتبريرها لتصبح مقبولة بطريقة عفوية أو بالبحث والتحليل، والمقارنة والتقييم...إلخ [1].

وهكذا فإن الأخلاق رغم ارتباطها بالسلوك الإنساني منظورا إليه من الجانب الخيري أي أنها أفعال واقعية فإنها تبقى مرتبطة بجانب نظري يتعدى هذا الواقع يتمثل في البحث عما هو أحسن أي البحث عن قواعد للسلوك في مرحلة أولى ووضع هذه القواعد في نسق نظري يحدد هذه القواعد في مرحلة ثانية، وأخيرا كيفية ترجمة هذه القواعد في أفعال واقعية في مرحلة ثالثة، وهكذا فإن الأخلاق تعبر بالإضافة إلى الجانب العملي عن جانب نظري معياري يمثل الطرق الممكنة والضرورية لتحقيق فعل الخير [2].

4. الإتيقا Ethique: إذا كان مصطلح أخلاق « Mos-Mores»ذا جذور لاتينية فإن مصطلح إتيقا ذو جذور اغريقية تنحدر من كلمة « Ethos » التي تعني العادات، سير الحياة، وقواعد السلوك، لهذا فإنه يشترك مع مصطلح الأخلاق -Mos « Mores فيما يشير إليه هذا الأخير والذي تطرفنا إليه من قبل هذا ما أدى بالكثير من الباحثين[3]. في المجال الاخلاقي، الاتيقي إلى استعمال المصطلحين للدلالة على المعنى نفسه [4].

في الغرب قبل المرحلة الوسيطية أدى انتشار اللاتينية إلى انتشار مصطلح اخلاق « Mores » وبالأسبقية التي حققتها المسيحية في الثقافة الغربية أخذ مصطلح اخلاق معنى دينيا، من جهة وبعد اكتشاف الفلاسفة الاغريق في العصر الوسيط في أوروبا انتشر مصطلح اتيقا بمعنى اخلاق لا دينية أي اخلاق طبيعية، دنيوية

---

[1]- مرجع نفسه، ص62.

[2]- مرجع نفسه، ص62.

[3]- مرجع نفسه، ص63.

[4]- مرجع نفسه، ص64.

« Séculière » ذات مرجعيات مستقلة عن الدين، ومن جهة أخرى، وبما أن مصطلح اخلاق الذي ساد في الغرب مثل في أغلب الأحيان نظام مبادئ ثابتة ومعرفة خارجيا (بواسطة الدين)، فإنه أخذ معنى محافظا ومغلقا وهذا ما دفع بالكثير من الباحثين في هذا المجال إلى استعمال مصطلح اتيقا من أجل البحث عن اخلاق منفتحة على آفاق جديدة ، من أجل تمييز مجال بحثهم الجديد عن مجال بحث الأخلاق القديم الذي يصطبغ في رأيهم بصبغة دينية وأصبحوا يميزون بين اتيقا قائمة على العقل وبين اخلاق قائمة على الدين.

ما يجب الإشارة إليه في هذا المجال التمييز بين الاتيقا والاخلاق، أنه من الصعب التمييز بين الإثنين لان الموضوع ينتمي إلى مفاهيم خاصة بمجال الفلسفة الأخلاقية ولا يمكن بالتالي الفصل فيه بطريقة موضوعية لأنه لا يوجد جوهر خاص بكل مبحث من المبحثين، إن التمييز بين الاخلاق والاتيقا لا يمثل ضرورة أبستيمولوجية أساسية يتحدد وقعها التطور العلمي المستقبلي [1]. لكن في الآونة الأخيرة التي تميزت ببروز مبحث البيوتيقا وبحثه عن فضاء معرفي خاص به برزت محاولات ترى بأنه من المفيد تحديد مفهوم كل مبحث في وان كان ذلك بطريقة نسبة بينما رفضت في مقابل ذلك آراء أخرى هذا التمييز الذي ترى فيه أي فائدة ابستيمولوجية[2].

جدة المصطلح البيوتيقا تبدو جلية بحيث لا تعثر عليه حتى ضمن قواميس والمعاجم المشهورة (مثل لاروس La rousse) وهذا حتى ثمانينيات القرن الماضي على الرغم من مرور عشر سنوات أو أكثر على ظهور مصطلح وتأخر في ظهوره على صفحات القواميس العربية اللغوية المختصة ولعلة من الأنسب أن تتوجه بهذا السؤال إلى من يعود إليه فضل في تأسيس البيوتيقا

[1]– مرجع نفسه، ص64.

[2]– مرجع نفسه، ص65.

واستخدام المصطلح المختص في أمراض السرطان (فان رانسيلاربوتر) [1]. « Von Rensselauter » والذي ذكر في نصه الأساسي :" البيوتيقا جسر نحو المستقبل" « Bioethics, Bridge to the future » كيف أنه تأتي إلى المصطلح وماذا قصد به؟ ويقول عن ذلك ينبغي أن يكون "علم البقاء" أكثر من علم واحد وعليه اقترحت مصطلح بيوتيقا [2]. « Bioethics » بفرض التأكيد على العنصرين الأساسيين لاكتمال الحكمة الجديدة التي نحن بحاجة ماسة لها : "المعرفة البيولوجية والقيم الانسانية [3].

لقد نحت « Otter»مصطلح البيوتيقا بداية من مقال له بعنوان: Science of sur vival سنة 1970، وقام بتطويره إلى كتاب نشره بعنوان آنف الذكر سنة 1971[4].

إن ما قصده "بوتر" بـ البيوتيقا هو هذا الجمع أو التوحيد بين طرفين ازدادا تباعدا وتباينا وهو ما استدعى التنبيه الى ضرورة ردم الفجوة التي تعمقت بين المعرفة البيولوجية والقيم الإنسانية أي أن الحاجة الإنسانية باتت أكثر استعجالا كضرورة حياتية حقيقية للبقاء على قيد

---

[1]– محمد جديدي، ما البيواتيقا؟ ، منشورات الوطن اليوم، سطيف، الجزائر، 2020، ص54.

[2]– فان رانسيلاربوتر« Van Rensselauer Pottor » (1911–2001) طبيب وبيوكيميائي أمريكي، كان أستاذا باحثا في الأنكولوجيا بمخبر "ماكاردل" للبحث حول الأمراض السرطانية بجامعة ويسكونسن، ماديسون لأزيد من 50 سنة، حاز على فايز سنة 1947، يعود إليه الفضل في نحت مصطلح البيواتيقا في تصور جديد حكمة فلسفية وبرؤية شاملة تضم البيولوجيا والطب والإيكولوجيا والقيم الإنسانية، ومن أهم أعماله: البيوتيقا جسر نحو المستقبل (1971)، البيوتيقا الشاملة (1988)، هذا تعريف فان رانسيلار بوتر أخذته من إحالة نفس الكتاب محمد جديدي، ما البيواتيقا؟ ، منشورات الوطن اليوم، سطيف، الجزائر، 2020، ص49.

[3]– Bioethics ككل مصطلح جديد واجهت البيواتيقا اعتراضا قبل ان تفرض نفسها (بدءا بكيفية كتابتها هل تكون موصولة أم مفصولة؟ Bio–ethique– ou bio ethique ou bioethique فقد رأى بعض المنتقدين لها أن الجمع المتناقض بين طرفيها دليل على ارتباكها وتخبطها ودعا البعض الأخر إلى الإستحالة توحيد وجهتين متنافرين، ويذكرنا هذا المصطلح الابستمولوجيا حينما بدأ استعماله في بداية القرن العشرين هناك من نظر إليه وحتى من فلاسفة أمثال جيل لاشيلة على أنه تعبير جديد مؤسف وكذلك الحال بالنسبة لمن عدو البيوتيقا كذلك في نهاية القرن العشرين، محمد جديدي، ما البيواتيقا؟ ، منشورات الوطن اليوم، سطيف، الجزائر، 2020، ص62.

[4]– مرجع نفسه، ص54.

الحياة أو كمال قال بوتر أننا بحاجة لفرع جديد يزودنا بنماذج وأساليب حياة للإنسان يستطيع بها التواصل مع غيره فيقترح ويشرح السياسات العامة الجديدة التي يمكنها تقديم جسر نحو المستقبل، هذه الفروع الجديدة يجب أن تنحت على ضوء أزمة ومشكلات اليوم، وجميعا يتطلب تشابك فروع علمية البيولوجيا القاعدية للعلوم الإجتماعية والإنسانيات، وبالتالي فالبيوتيقا حقل متشابك متداخل ومتعدد التخصصات غير اقصائي في خطابه[1].

1-نشأة البيواتيقا (إرهاصات البيواتيقا)

من المهم أن نعرف متى بدأت البيوتيقا وأين؟ ففي تعيين زمان ومكان تكونها ما يمكننا من الإحاطة بظروف وحيثيات بروزها وربط الصلة بين الواقعيين الاجتماعي والثقافي عموما. [2].

1-البيواتيقا: الأصل والموطن: يحدد زمنيا ومكانيا أصل البيوتيقا وموطنها في الولايات المتحدة الأمريكية بالضبط سنة 1971، ومن هذه الزاوية يمكن القول أنها مبحث جديد كيف ذلك؟.

يعتبر فرع البيوتيقا جديد نسبيا ويمكننا أن ندرك ذلك بسهولة اذ يكفي أن تتصفح بعض القواميس العربية أو غير العربية المعروفة[3]. المتداولة بكثرة في فضاءاتنا مثل لاروس أو روبير Robert وهي تتحين في طبعات سنوية لتصنيف المفردات والشخصيات الجديدة، وما يستجد في عالم المعرفة والاختراع والأحداث، فعلى سبيل المثال لو أخذنا هذا قاموس لاروس لسنة 1983 فإننا لا نعثر على مصطلح بيوتيقا، على الرغم من بروزه قبل هذا التاريخ بأكثر من عشر سنوات في العالم الأنقلوساكسوني بينما نجده في القاموس نفسه لسنة 2011.

---

[1]- مرجع نفسه، ص55.

[2]- محمد جديد، ما البيواتيقا؟ منشورات الوطن اليوم، سطيف، الجزائر، 2020، ص65.

[3]- مرجع نفسه، ص66.

يشير "ألبير جنسون Albert Jensen" مؤكدا على جدة وطرافة هذا الحقل إذ يرى أن البيواتيقا لم تبدأ مع "بيع بانع Big Bang" (الإنفجار الكبير) وعلى الرغم من الاهتزازات الأخلاقيات الطبية وهي سلف اخلاقيات البيولوجيا[1].

بسبب الأحداث البارزة والمعروفة فقد حدث تراكما بطيئا للمخاوف بشأن غموض التقدم العلمي الذي حول الأخلاق الطبية القديمة إلى مبادرات جديدة لأخلاقيات البيولوجيا، بدأ المساهمون في التقدم العلمي في التعبير عن مخاوفهم خلال الستينيات وفي الكتابات العريضة وفي الاجتماعات المهنية والمؤتمرات العامة، كانوا قلقين من أن التقليد القديم لاتيقا الطب، بسبب ضعفه الكبير، لا يمكنه مواجهة التحديات الاخلاقية التي يعرضها العلم والطب الجديد[2].

إذن يعتبر مبحث البيوتيقا جديد، اذ عمره لا يزيد عن اثنين وأربعين سنة تقريبا هذا إذا أخذنا سنة 1971معلما زمنيا أي سنة نشر كتاب فان راسنيلاربوتر Vanrense boer potter المعنون بـ Bioethics bridge of the future

البيوتيقا: جسر نحو المستقبل، نقطة بداية لذلك، لكن بعضهم يرتد إلى سنوات سابقة على ذلك التاريخ ويتحدثون عما يمكن تسميته إرهاصات للبيوتيقا في الخمسينات والستينات من القرن الماضي [3]

---

[1]– ألبيرجنسون: صاحب كتاب ميلاد البيواتيقا وهو جماعة "جورجتاون" وناشر ومساهم في الموسوعة بما يوحي أن الموسوعة استندت بشكل كبير لطروحات اللاهوتيين ولكني التذكير بهؤلاء الثلاث لنتبين مدى مساهمة اللاهوت في نشأة البيواتيقا وتكرس نزعة محافظة أخلاقيا على عكس من ذلك تأتي رؤية مؤسس "البيوتيقا" بوتر الدامية إلى توطيد جسر بين المعارف والقيم بين العلوم والأخلاق ضمن أفق مستقبلي ونظرة شاملة تتجاوز الطروحات التقليدية للأخلاق وتضم البيواتيقا تحت شغفها علاوة على الأتيقا الطبية وعلوم الحياة البيئة والحكمة والإنسانيات أوني ما أسماها "البيواتيقا الشاملة"، محمد جديدي، ما البيوإتيقا؟ ، منشورات الوطن اليوم، سطيف، الجزائر، 2020، ص64.

[2]– مرجع نفسه، ص66.

[3]– محمد جديدي، ما البيواتيقا؟ مرجع نفسه، ص67.

يذكر "جليدهوتوا" أن مصطلح البيوتيقا قد يعود إلى ما قبل سبعينيات القرن الماضي حيث اكتشف أن استعمال لفظ bio-ethik يرجع إلى اللاهوتي البروتستانتي الألماني فريتزغار Fritz Jahr ضمن نص له في سنة 1927 بيد أن الأمر يتعلق بلفظ مفرد (لفظة مفردة) Happax وهذا الاستخدام الأول لم يكن له تأثير على تاريخ ومسار البيوتيقا الذي بدأ في 1970، وهذا لا ينبغي وجود ما يمكن اعتباره ما قبل تاريخ البيوتيقا يعود بنا إلى تاريخ قديم يتمثل في إرهاصات وعوامل أولية للبيوتيقا نحتفظ منها بالأحدث[1].

2-إرهاصات البيواتيقا: تتمثل هذه الإرهاصات في نقاط عديدة يمكن تحديدها

1-الأخلاق الطبية: تعود الأخلاق الطبية إلى عهود قديمة وبالضبط الى القرن الخامس قبل الميلاد، مع أبقراط Hippocrate مؤسس الطب العلمي، الذي اقترح على أتباعه قسما للممارسة الطبية، وظل هذا القسم إرثا لكل الأطباء انتقل عبر الأجيال عبر العصور وفيه دعوة إلى التمسك واحترام جملة من القواعد منها على الخصوص احترام الحياة والعمل لصالح خير المريض[2].

لكن في بداية القرن العشرين، أخذت الديونتولوجيا الطبية (الاخلاق الطبية) بعين الاعتبار والحسبان الأهمية المتزايدة بحقوق الانسان في المنظمات الدولية: الجمعية الطبية العالمية (AMM) « L'Association médicale mondiale » أو المنظمة العالمية للصحة (OMS) « Organisation mondiale de la sante » التي تموقعت هكذا في

---

[1]- جيلبر هوتوا: وضع جيلبر هوتوا براء يغم البيواتيقي عنوانا لكتابه الصادر لسنة 1990 من منشورات جامعة "دوبوك" ويبدو أن الدكتور جوليان نيومي فنزو Julien Nyumi Phonzy أستاذ الفلسفة والأخلاق بالمعهد البيداغوجي العالمي، بـ: بوما الكونغوا الديمقراطية قد سار على منواله في كتاب المعرف بالبيواتيقا في منشورات لاروماتان 2019 وضع له عنوان فرعي يراد لاتيقا الجديدة، ويرى في مقدمته أنه إذا كانت البيواتيقا تشكل براديغما فرض نفسه في الحياة العصرية وفي التقدير الاكسيولوجي لكل ما يتصل بتعاملاتنا في الحياة ومع الحي فإنها مع ذلك لم تنل خطوة التي تستحقها في جامعاتنا الإفريقية، محمد جديدي، ما البيواتيقا؟ ، منشورات الوطن اليوم، سطيف، الجزائر، 2020، ص113.

[2]- مرجع نفسه، ص67.

مصب (بوتقة، ملتقى، مجمع) هذين التقليدين (التوجهين) هذا التباين تكرس في قانون "نورنبرغ" « Nuremberg » سنة 1947 الذي ضيع تبعا لتجارب أجراها النازيون على بشر Des cobayes humains وقادت إلى إضفاء الشرعية على معارضة ومقاومة الأطباء إزاء هذه الممارسات (ومنها اعلان هاواي سنة 1977) لكن البيوتيقا باعتبارها ميدانا مخصصا للأطباء.

تطورت بشكل كبير في الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين بالتوازي مع التقدم العلمي والأسئلة التي يثيرها[1].

2-الأسئلة الجديدة: من الأسئلة التي طرحت مع تطور الطب والبيولوجيا مع أواسط الخمسينيات والتي تمحورت حول الحياة بصورة عامة ولكنها دقيقة ومنها [2]: هل يتوجب علينا أن نحافظ على امتلاك الحياة بغض النظر، عن طبيعة أو نوعية تلك الحياة؟ (بما أن العلماء سعوا لتحسين من حياة الإنسان نوعية أكثر فأكثر) ثم إذا تبين في لحظة من اللحظات أنه لا ينبغي الحفاظ على الحياة فمن الذي بيده القرار؟.

طرحت هذه الأسئلة من طرف "NICU" [3] وبدأت مناقشتها خلال الستينيات من القرن الماضي في المؤتمرات الاكاديمية وفي المجلات العلمية وهو ما حفز على ميلاد مجال لأخلاقيات البيولوجيا.

وانطلاقا من تلك الفترة بدأت مراكز ومعاهد للبحوث (منها هاستينفر نستر-كينيدي انستيوت) ببحث المسائل الأساسية والناشئة في مجال الرعاية الصحية والتكنولوجيا الحيوية (توالت في ظهور منذ 1971).

ومن امثلة هذه الأسئلة الاخلاقية التي أثيرت في ستينيات القرن الماضي بالولايات المتحدة الأمريكية ما تعلق منها بتمويل بعض الممارسات (الأنشطة) والبحوث بدأت بذلك لما

---

[1]- مرجع نفسه، ص68.

[2]- مرجع نفسه، ص68.

[3]- مرجع نفسه، ص69.

برزت مشكلة انتقاء الأشخاص الذين يمكنهم الاستفادة من تصفية الدم «Hémodialyse» معنى هذا الأشخاص يستحقون أن تنقذ حياتهم على حساب أناس آخرين وهذا إجرائي تمييزي بل قد يكون عنصري[1].

3-المراكز المختصة:

اليوم بالإضافة إلى بعض المراكز والنوادي والهيئات التي تهتم وتختص بالبيوتيقا كما هو الحال بالنسبة لـ « CIB » [2]. المركز الدولي للبيوتيقا التابع لمنظمة اليونسكو توجد منظمات حكومية وغير حكومية وضعت هيئات بيوتيقية يتم فيها إعداد مبادئ عمل وتنصيب خلايا انصاب وتشاور لاقتراح حلول أو إبداء ملاحظات دورية حول قضايا تعم الفاعلين والمشاركين في هذه الهيئات بل حتى مواطنين عاديين تأخذ آرائهم بعين الاعتبار ضمن استبيانات أما عن أهم مركزين عند نشأة البيوتيقا فهما:

مركز نيويورك ومركز كينيدي:

في سنة 1963 أسس ويلاردكايلان [3] Willard cay lin ودانيال كالاهان [4] Danial gallahan معهد المجتمع، الأخلاق وعلم الحياة Institut of society, ethics and the

---

[1]- Aneomatol intensive core unite NICUM وحدة الأوان ويشير عليهم فريق مختص من أطباء مقيمين من أطباء مساعدين وصيادلة وأطباء مختصين في الجهاز التنفسي وممرضات وممرضين مختصين، محمد جديدي، ما البيواتيقا؟، منشورات الوطن اليوم، سطيف، الجزائر، 2020، ص81.

[2]- محمد جديدي، ما البيواتيقا؟ ص70.

[3]- ويلارد غايلان: 1925طبيب نفساني أمريكي، أستاذ للطب للنفسي، بمدرسة الأطباء والجراحين بجامعة كولومبيا، بالإشتراك مع زميلة دانيال كالاهان أسس مركزها "تستعين المستقل البحث في البيواتيقا نال عدة تقديرات وجوائز ساهم بالكتابة في عدة مجلات وصحف عالمية منها نيويورك تايمر والتيكولوجيا اليوم وواشنطن "بوست" كتب أكثر من 20 كتابا منها إعادة إكتشاف 1986، وانحرف الاستقلالية الذاتية 1996، إحالات من كتاب ما البيوتيقا، ص82.

[4]- دانيال كلاهان: (1930-2019) فيلسوف ولاهوتي كاتوليكي أمريكي أحد رواد البيواتيقا اسس مع زميلة غيلان مركزها "ستغس" أو المعهد المختص بالبحث في الأخلاق والمجتمع وعلوم الصحة ترك أزيد 47 مؤلف من كتبه رعب البقاء (1973) الأخلاق في الأزمنة الصعبة (1982) جذور البيوتيقا: الصحة التقدم، التكنولوجيا، الموت (2012) من كتاب ما البيوتيقا؟ محمد جديدي ، ص82.

life sciences الذي سيصبح "هاستينغ سنتر Hasting Center منذ 1973 قدم "كالاهان" في الـ "هاستينغ سنتر ريبورت Hanstings center leport مجلة مركز حول البيوتيقا (مركز مستقل لا ينتمي إلى أية جامعة مدعم مادية وخاصة من مؤسسة روكفيلر.

البيوتيقا: بوصفها فرعا (فرع جديدا) طريقة العمل في هذا المراكز وفق أفواج مصغرة تضم مختصين وخبراء يأتون من عوامل مختلفة أكاديمية واختراعية حول موضوع نهاية الحياة مثلا.

مركز ثاني: وهو معهد جوزيف وروز كينيدي لدراسة التناسل البشري والبيواتيقا «Josef and rose Kennedy institut for the study of humain reproduction and bioethics.

جامعة جورج تاون (واشنطن) Un laboratoire sur la reproduction assistee الذي يحتوي مركز البيوتيقا Centre for bioethics أسس في سنة 1971م، وهذا الأخير نشر ابتداء من سنة 1977 موسوعة البيوتيقا (أول موسوعة حول البيوتيقا) ثم انطلاقا من سنة 1991 مجلة معهد كينيدي للأخلاق "Kennedy institut of ethics journal" .

4-تعقد وتطور الحياة:

عرفت البلدان المصنعة أو حتى ما بعد الصناعة حسب السوسيولوجي "دانيال بال" Daniel Bell في الستينيات عددا معتبرا من المطالب المتصلة بحقوق الاستقلالية للفرد Revendication tenant aux droits et a l'autonomie de la personne والمرأة والحقوق الأقليات وهو ما أفضى إلى تغيرات اجتماعية هامة مست بشكل كبير مسائل القيمة بحيث تحررت من قيود الماضي المتسمة بالتسلط والأبوية والمطلقية (منها عدم تأثيم تخطي (محاسبة) الانتظار الإجهاض، الجنسية المثالية، التحرر الجنسي، تقنين الطلاق، منع الحمل ... الخ) [1].

[1]- مرجع نفسه، ص71.

فبعض المفكرين ومنهم اللاهوتيين جوزيف فلاتشير [1]. Joseph Fletcherو بول رامسي [2]. Paul ram sey انتقدوا ابوية (الأطباء الأبوية البانزياكا) Le paternalisme الأطباء [3].

5-المطالبة بالمزيد من الحريات:

عرفت فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية تكثفا لموجة من الاحتجاجات وإن كانت هذه الموجة قد بدأت سابقا في بداية العقد الثاني من القرن العشرين بعد الثورات التي هزت العالم وغيرت من خارطته ونوع من منتصف العقد الثاني إلى خمسينيات القرن العشرين إذ وبعد الثورة البلشفية في روسيا القيصرية سنة 1917م وقيام دولة شيوعية تنهج نهجا غير رأسمالي فتح الباب أمام فئات واسعة من المجتمعات للمطالبة بحقوق وحريات سواء للعمال والأحرار والنساء والفلاحين، وبدت فئات أخرى ضمن النسيج الاجتماعي الرأسمالي من طلبة وشباب وموظفين تبحث عن مزيد من الحريات في مواقع العمل وفي الجامعات وفي الفضاءات الترفية ونشاط التسلية، الشيء الذي أفرز ضغوطا إذ كانت لها السلطات السياسية وشرعت لكثير من النشاطات والممارسات الجماعية أو الفردية فنية كانت أو عملية أو رياضية أو أخرى تمكن الناشئة من مزيد من الانعتاق ورفع القيود والواجبات الكلاسيكية.

---

[1]- جوزيف فلاتشر: (1905-1991) فيلسوف أميكي من ابرز الأساتذة الذين عملوا على تطوير البيواتيقا في الستينيات القرن الماضي اهتم بما سماه الاخلاق الظرفية (اخلاق الوضعيات) من أهم الأصوات المدافعة عن الاجهاض الاوتنازيا النسالية والاستنساخ من أهم نصوصه الاخلاق والطب (1954) اخلاق الوضعيات أو الاتيقا الوضعياتية (1966) اتيقا التحكم الجيني 1974، محمد جديدي، ما البيواتيقا؟ ، منشورات الوطن اليوم، سطيف، الجزائر، 2020، ص82.

[2]- بول رامسي (1913-1988) لاهوتي اخلاقي امريكي قضى معظم حياته أستاذا بجامعة برنستون يدرس الاخلاق المسيحية ويغري اليه ادراج نظرية الحرب العادلة في الفكر الاخلاقي البروتستاني من كتبه، أسس الاخلاق المسيحية (1950)، الحرب والضمير المسيحي (1961)، المريض باعتباره شخص (1973)، الأخلاق البحث الجنبي (1975)، محمد جديدي، ما البيواتيقا؟ ، منشورات الوطن اليوم، سطيف، الجزائر، 2020، ص71.

[3]- مرجع نفسه، ص75.

6-الحركة النسوية:

وهي حركة اجتماعية عرفت انتشارها القوي والواسع في الستينيات من القرن الماضي كردة فعل على رؤية مهنية للمرأة [1]. جاعلة منها موضوعا أو شيئا في خدمة الرجل بالنظر إلى أن أغلب القضايا التي تناقشها البيوتيقا تخص المرأة (قضية الإجهاض، الإنجاب الاصطناعي، تحديد النسل وتحسينه، الأموية... إلخ) فضلا عن مسألة الجسد وحرية وحق التصرف فيه لمالكه وهي مسألة تهم بالدرجة الأولى المرأة قبل الرجل، فقد وجدت الحركة النسوية وهي التي وجهت نضالاتها بروز البيوتيقا جملة من حقوق المرأة والاعترافات بما لها أحقية ومنزلة اجتماعية انضمت كقضية من بين ما تبحثه البيوتيقا، وتسعى إلى ترسيخه كحقوق مواطنين لذا لا نستغرب إذ عثرنا على توافق في الرؤى والطروحات بين النسوية بمختلف توجهاتها مع تصورات ومقاربات البيوتيقا[2].

7-التقدم التكنولوجي:

نقصد بالتقدم التكنولوجي الذي مس بشكل خاص ميدان الطب والممارسة الطبية، إذ أضحت ممارسة الطب خاضعة في جزء كبير إلى الآلات والأجهزة التي يلجأ إليها مهنيو الصحة سواء في التشخيص أو الكشف كإجراء التحاليل والتصوير بالأشعة فضلا عن الدعم الكبير الذي بات تقدمه أجهزة مثل السكانير والتصوير بالمنظار وبالأشعة البنفسجية أو بغيرها من الأجهزة "كالدوبلير" وكل الأشعة الكاشفة عن أي خلل في المخ أو الجهاز التنفسي أو الجهاز الهضمي، إذن عدت هذه الأجهزة تشكل ضعف الأطباء أو أكثر وتقربهم من تحديد المرض بدقة وطريقة علاجه بالدقة نفسها[3].

---

[1]- محمد جديدي، ما البيواتيقا، ص72.

[2]- مرجع نفسه، ص73.

[3]- مرجع نفسه، ص73.

لكن هذا التقدم التقني يشير كذلك مشكلات أخلاقية على علاقة بكرامة الشخص وسلامة جسده وحميمة جسده وقد بات منتهكا بمختلف الأشعة ومنها الضارة فضلا عن خروج الجسد من فضاء خاص إلى آخر عام.

8-الفلاسفة الإتيقيون «éthiciens Les Philosophes

وفقا لـ تقرير بالمونت Rapport Balmont لسنة 1979 وما تضمنه كتاب بوشان Beaue hamp وشيلدرس Childress من قيم أربع كبرى تتأسس عليها البيوتيقا والتي هي:

- الاستقلال الذاتي L'autonomie أي اكتفاء الشخص بذاته.
- مبدأ الخيرية La bien farsonce ابتغاء الخير الانسان.
- عدم الاضرار La non malfaisance وهو ما اشار إليه أبقراط بـ Pumum mon nogere.
- مبدأ العدالة La justice بمعنى الانصاف l'équité وليس المساواة[1].

إن للفلاسفة الذين انشغلوا بقضايا الأخلاق في القرن العشرين دور هام في قيام البيوتيقا وما تطويرهم لأفكار أساسية كالمسؤولية مع "يوناس" أو الفضيلية مع "ماك انتاير" أو العدالة مع رويلز سوي دليل واضح على الدور الذي اصطلح به الفيلسوف ولا يزال ضمن لجان البيوتيقا والأخلاق[2].

9-حركة الممرضين (شبه طبي) Le movement des merses

طالبت الممرضات في بريطانيا بحق المشاركة في القرارات الخاصة بتوقيف العلاجات، وتطوير خدمات العلاج المكثف ويندرج هذا أيضا ضمن موجة التمرد على الوصاية الطبية فللإطار الشبه الطبي أهمية وكلمته في مسار علاج المرضى وهم إذا صح القول من يرافقون

---

[1]- مرجع نفسه، ص74.

[2]- مرجع نفسه، ص74.

المريض بأكثر أحيانا مما يفعل الطبيب ولذا يجب من الناحية الأخلاقية والمسؤولية الطبية أن يتم الانصات إلى هذا دون استشارات من هم في غالب الأحيان وسيطا بين الطبيب والمريض علاوة على هذا فالوصاية الطبية تقع على طرف نقيض مع مبدأ الاستقلالية الذاتية وبالتالي وجب على الأطباء ان يتنازلوا بعض الشيء عن وصايتهم على العملية العلاجية لمرضاهم ولشركائهم في هذه العملية[1].

10-براديغم البيوتيقا:

كل هذه الإرهاصات التي ذكرنا شكلت في النهاية البيوتيقا كبراديغم، فهي لم تكن إلا بنت زمامها بعدما تم استعاب وصقل هذه الإرهاصات والتمهيدات التي انتهت في الأخير إلى براديغم بيوتيقي فما اشرنا إليه آنفا في العناصر التسعة من الثورات علمية غير مسبوقة وتجهيزات تقنية جد متطورة وتحولات اجتماعية كبيرة عبر مسيرة الحركات الاحتجاجية للنساء والسود والمهمشين والطلبة[2]. والنقابات العمالية ونشطاء السلام والمناضلين من أجل كرامة الانسان وغيرها.

من التغيرات التي مست العالم العربي بعد الحرب العالمية الثانية كانت هناك عوامل محفزة ومنشطة لمسار جديد يوجه براديغم بيوتيقي فقد عمد "ادغار موران" وهو يستعيد مفهوم "توماس كوهن" للبراديغم ومفسرا إياه بأنه "يشمل جميع الخطابات التي تدور في فلكة والمفاهيم الأساسية أو المقولات الرئيسية للمعقولية في الوقت ذاته الذي يتم فيه تحديد نوع العلاقات المنطقية التجاذب/التنافر، الإتصال ا/انفصال والتضمن أو غيرها بين هذه المفاهيم أو المقولات، لم يتشكل هذا البراديغم البيوتيقي دفعة واحدة إنما تم عبر مراحل وفترات[3].

---

[1]- مرجع نفسه، ص75.

[2]- مرجع نفسه، ص75.

[3]- مرجع نفسه، ص76.

3-مراحل البيوتيقا:

إذا كانت سنة 1971 تمثل رسميا البيوتيقا ومنطلقها الفعلي فإن هذه النشأة عرفت تطورات ومرت بمراحل سواء في ما سبقها كتمهيد وارهاص أو لاحقا كاستتباع ومآل، ووفق ما تذكره الفيلسوفة آن فاغو لارجو فإن "البيوتيقا بوصفها تجاوزات" وفي الغالب ما تتحدد هذه التجاوزات في صورة محطات بارزة تعتمد كعلامات تاريخية البيوتيقا وفي التأريخ لهذا الفرع الجديد (البيوتيقا) تكاد ازاء كثير على تقسيمة لثلاث مراحل أساسية هي[1]:

- مرحلة أولى ما قبل البيوتيقا.
- مرحلة ثانية تأسيس البيوتيقا.
- مرحلة ثالثة ما بعد البيوتيقا.

سبق وأن أشرنا إلى نشأة البيوتيقا بأمريكا وبالتحديد في سنة 1971 أين استخدم الطبيب بوتر Poter مصطلح البيوتيقا واصبح بعدها التاريخ متداولا ومعتمدا وقبل هذا التاريخ هناك مرحلة ما قبل البيوتيقا.

1-مرحلة أولى ما قبل البيوتيقا:

وهي مرحلة تتحدد من خلال ثلاث محطات:

أولا: قسم أبقراط (في القرن 5 ق.م) Serment d'Hippocrate

الطبيب وحده الناظم الإتيقي Le médecin seul régulateur éthique هناك مسعى لتأسيس الممارسة الطبية على أساس عقلانية اعتمادا على الملاحظة بشكل كبير وسيتغير الطب من الملاحظة إلى التدخل.

[1]- جديدي محمد، ما البيوتيقا، منشورات الوطن اليوم، الجزائر، 2020، ص76.

ثانيا: قانون نورمبرغ Nuremberg سنة 1947 أصبح القضاة أيضا ناظمون لاتيقا الطبية Les Juges régulateur l'éthique médical [1].

ثالثا: انخراط الاطباء في جمعيات (1947-1965)

تبدأ بعض الجمعيات الطبية في الظهور، وتحاول وضع المزيد من المبادئ والقواعد الناظمة لممارسة الطب وخاصة مسألة البحث والتجريب على الإنسان وربما يكون ما حصل آنفا قد ولد شعورا بالخزي والعيب من ممارسيه وبغرض عدم تكراره، من هذه الجمعيات نذكر: الجمعية الطبية العالمية Association médicale mondiale AMM .

2-مرحلة ثانية تأسيس البيواتيقا :

وهي المرحلة التي شهدت ميلاد مصطلح البيوتيقا في الولايات المتحدة الأمريكية بالتحديد في سنة 1970-1971، أين استخدم الطبيب فان رانسيلا بوتر Poter مصطلح البيوتيقا وأصبح بعد هذا التاريخ متداولا ومعتمدا وفي هذه المرحلة أيضا تمت مأسسة البيوتيقا L'institutionnalisation de la bioéthique 1970-1983 أين حصل تحول تم من الداخل نحو الخارج أي الانفتاح الطبي للمختصين والمهنيين في المجال الصحة على فاعلين آخرين ليشمل فاعلين مهنيين في عملية تنظيم الممارسة والبحث سواء على مستوى المستشفيات أو على مستوى بنيات البحث البيوطبي (في بعض الدول نجد بروز لجان وفي غيرها من الدول لا سيما الأوروبية بحيث أصبح لأكثر من نصفها لجان أخلاقية في فترة الثمانينات[2].

3-مرحلة ثالثة تطور البيوتيقا:

كان من الضروري أن يحدث تحالف البيوتيقا مع القانون (1994-2013) L'alliance de la bioéthique avec le droit بعد أن صار للبيوتيقا مؤسساتها وهيئاتها

[1]- مرجع نفسه، ص77.

[2]- مرجع نفسه، ص78.

التي بفضل تشريعاتها وسنها قوانين باتت تعرف بقوانين البيوتيقا Les lois de la bioéthique فقد كان هذا اللقاء بين الاثنين في 1994 في ما عرف بقوانين جويلية 1994، ثم تمت مراجعتها في 2004 من قبل البرلمانيين (الأوروبيين) وبعدها في 2011 وعليه فهذا التقارب بين البيوتيقا والقانون امتد من 1994 إلى 2013 ليطال ثماني قوانين وهي ما توج مسار البيوتيقا الذي شهد تطورا كبيرا في العقد الأخير من القرن الماضي منتصف التسعينات) وفي مستهل الألفية (سنة 2005).

المبحث الثاني: المقاربة المفاهيمية للبيوتيقا

1-موضوع البيوتيقا:

ما موضوع البيوتيقا[1].:

يصعب أن نحدد موضوعا بعينه للبيوتيقا وذلك يعود لمختلف المقاربات التي تقدم Les différentes approches de la bioéthiqueوسنعود إليها بالتفصيل.

اقتراحات في دراسة مشكلات البيوتيقا (حتى وإن كان الاتفاق حاصل حول البعد الأخلاقي والقيمي للمعضلات التي تفرزها التقنيات العلمية لاسيما البيولوجية والطبية على الكائن البشري بصورة خاصة والبيئة بصورة عامة.

بحسب اتساع وجهة نظر أو ضيقها يتحدد موضوع البيوتيقا أو موضوعاتها بالأخرى فهناك من يحصره فقط في المشكلات المثارة من طرف التقدم البيوطبي وما يفرزه من مسائل تتعلق بالتقنيات[2] المستحدثة في مجالي البيولوجيا كالتعديل الجنسي أو الإنجاب الاصطناعي مثلا: بينما يمدد البعض الآخر موضوعها ليشمل عناصر أخرى تتمثل في سياسات المدن والصحة وحقوق الانسان وتهيئة المحيط كما أن هناك من يوسع موضوع البيوتيقا إلى دائرة

[1]- جديدي محمد، ما البيوتيقا؟، منشورات الوكن اليوم، سطيف، الجزائر 2020، ص85.

[2]- مرجع نفسه، ص86.

أوسع تعالج ما يتجاوز المحلى إلى ظواهر عالمية كالحفاظ على البيئة وهدر الطاقات حفاظا عليها للأجيال القادمة (هل من حق الجيل الحالي استنفاد كل الطاقات الموجودة ، هل هذا أخلاقي؟).

إذن ومع التأرجح الحاصل في موضوع البيوتيقا بين الانكماش (الانحصار) و الاتساع (التمدد) نستطيع إعداد قائمة بالمشكلات التي يمكن اعتبارها بيوتيقية وتلقى إجماعا حولها من قبل المختصين –كتابا– باحثين ومتدخلين في المجالات البيوتيقية وهي تعد النواة المركزية لمختلف البحوث ويمكن أن ترتب مواضيع البيوتيقية في ثلاث دوائر Trois sphères تتميز بحسب الضيق والاتساع والشمول وتتبع التصورات التي تستخدم وفقا لها البيوتيقا وهي:

دائرة أولى: التقييد

يمكن القول أنها أولية ضعيفة ومحدودة من حيث أنها تولي عناية كبيرة للمشكلات الأخلاقية الناتجة عن التقدم في المجالين الطبي والبيولوجي [1].

وما يمكن قوله هنا أن موضوع البيوتيقا ومن هذه الزاوية الإتيقية الطبية لا يعتبر جديدا بل قديم وقديم جدا في شقه عن أخلاق الأبقراطية وكل ما يتصل بالاتيقا الحياتية ومن بين المواضيع التي كانت في أخلاق الطب نجد [2]:

- الموت الرحيم: Euthanasie.
- العلاج المكثف (دون فائدة ودون جدوى) Acharnement thérapeutique.
- الإنعاش (العناية المركزية) Reanimation .
- الحقيقة للمرضى Vérite aux malades .
- الحق في الموت Droit a la mort.

---

[1]– مرجع نفسه، ص86.

[2]– مرجع نفسه، ص87.

- الاجهاض Avortement.
- التشخيص السابق (قبل الولادة) Diagnostic prénatal.
- الاستشارة الجينية (الوراثية) Conseil génétique.
- الموت الرحيم للجنين Euthanasie fœtal.
- تعقيم المعاقين Stérilisation des handicapés.
- تحسين النسل Eugénisme.
- الاستنساخ .Le clonage
- التجريب على الكائن البشري، التجريب على الجنين Expérimentation sur l'être humain, expérimentation sur l'embryon.
- التلقيح الاصطناعي،الإخصاب الاصطناعي Fécondation artificielle insémination artificielle .
- بنوك الحيوانات المنوية Banque de sperme[1].
- أطفال الأنابيب Bébé éprouvette.
- المعالجة الوراثية الجنينية Manipulation génétique .

دائرة ثانية: الاتساع:

يبد ان بعض الدارسين لا يتوقف تصورهم للبيوتيقا عند حدود الاتيقا الطبية وإنما يجاوزها إلى نطاق أرحب، وعليه يمدد بعض الباحثين من حقل البيوتيقا ويوسعون من قائمة مواضيعه بحيث تتضمن مواضيع بحاجة إلى تفكير قيمي يفرض نفسه إزاء ما أفرزه الواقع الطبي والبيولوجي الجديد ولا تستطيع الأخلاق التقليدية استعابه، وبالتالي وجب أيضا توسيع الرؤية الأخلاقية كي تتلاءم مع المستجدات العلمية ومع ما يمليه الواقع الإنساني الجديد من

[1]– مرجع نفسه، ص88.

تدبير يتناسب مع رغبات الفرد وميولاته من جهة ومع تقييدات المجتمع وضغوطاته من جهة أخرى، ومن المواضيع المدروسة في هذه الدائرة على سبيل المثال[1]:

- الإنتحار، المساعدة على الانتحار Suicide, aide au suicide.
- زرع (نقل) الأعضاء: القلب، الكلى، القرنية Greffe d'orgones: Cœur, Rein, Carnée.
- بنوك الأعضاء Banques d'organes.
- تغيير الجنس La transsexualité .
- سياسة الصحة Politique de la sante.

تبدو هنا الدائرة الثانية تبتعد عن السلوك الفردي لتأخذ منحنى بينذاتي فالعلاقة هنا تبادلية سواء بين الأفراد أو أكثر بل أنها تشمل مجموعة أفراد إذ ما أخذنا موضوع سياسة الصحة وكيف تخطط دولة ما لحماية صحة مواطنيها وترقيتها [2].

دائرة ثالثة: الشمول:

وهي دائرة أشمل من السابقتين بحيث لا يتوانى فريق من الدارسين (منهم بوتر اول من وظف في كتابه البيوتيقا بحيث لم يقصد الوقوف عند مجال بعينة كأن يكون الطبي أو البيولوجي بل من العنوان الفرعي نقرأ شموليته كجسر نحو المستقبل بحيث يتسع ليشمل مواضيع لا تمس الكائن الحي فقط بل كل محيطه الذي يحيا فيه) في إضافة وضم مواضيع أكثر تنوعا وعمومية وقد تستوجب تفكيرا اتيقيا من قبيل.

ولعل هذا الشمول في موضوع البيوتيقا هو بالضبط ما قصده فان "رانسيلار بوتر" أول من استخدم مصطلح البيوتيقا حيث أراد بوتر من استعماله كلمة بيوتيقا تشكيل هذا الفرع الجديد

---

[1]– مرجع نفسه، ص88.

[2]– مرجع نفسه، ص89.

مركب من معرفة لبيولوجية وأخرى خاصة بنسق القيم الإنسانية لكنه خلافا لما تحدد من لفظ البيوتيقا واقتصاره على المجالين الطبي والبيولوجي في الاستعمالات المتلاحقة فإن بوتر قصد بالمصطلح الجديد البيوتيقا الشاملة Global bioéthics وهو ما عمل على توضيحه سنة 1988 لأنه كان يهدف إلى التساؤل حول المحيط الحيوي بأكمله Biosphère أي أن اصل البيوتيقا يكمن في هذه المساءلة النقدية إزاء التقدم العلمي و الاجتماعي والذي يرهن بقاء الانسانية[1]. وينشغل ببحث موقع الإنسان وتفاعله مع الأنظمة البيئية Écosystème، إذن بإمكاننا أن ندرج قضايا ومسائل على قدر كبير من الأهمية بالنسبة للإنسان وتتطلب اعتناء البحث والدرس الاخلاقي ومنها:

- حقوق الإنسان Les droits de l'homme.
- منع الحمل La contraception.
- النمو السكاني ومراقبته L'accroissement démographique et son contrôle
- البحث والتطور في الأسلحة البيولوجية والكيمياوية، الحرب [2]. La recherche et le développement des armements biologique et chimiques, la guerre.
- الشخصية الإنسانية، الكرامة البشرية La personnalité humaine la dignité humaine
- التعذيب La torture
- عقوبة الاعدام ou la peine capitale la peine de mort

---

[1]– مرجع نفسه، ص90.

[2]– مرجع نفسه، ص90.

- التلوث La pollution

2-أبرز مفاهيمها وتطوراتها[1]:

الإستنساخ:

لغة: مصدر استنسخ أي طلب النسخ قال تعالى:"انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون"، والنسخ في اللغة له عدة معان، منها النقل، والإزالة، فيقال: نسخت الكتاب أي نقلته من الكتاب إلى الورق وكتب القاضي نسختين لحكمه أي بين لحكمة، وتناسخ الأزمنة والقرون أي تتابعها وتداولها.

اصطلاحا: الاستنساخ Cloning أي النسل في الاصطلاح العلمي والطبي، هو توليد كائن حي أو أكثر إما بنقل النواة من خلية جسدية إلى بيضة منزوعة النواة، وإما بتشطير بيضة مخصبة في مرحلة تسبق تمايز الأنسجة والأعضاء (...) فيبين أن جميع الأطباء متفقون على أنه عبارة عن نقل نواة خلية مخصبة أي تحتوي على 46 كروموسوما[2] مكان نواة بيضة، أي تحتوي على 23 كروموسوما، إلا أن تطبيق ذلك علميا أمر في غاية الصعوبة ويحتاج إلى تقنيات متقدمة ومعلومات كثيرة.

مشكلة الإستنساخ[3]: الاستنساخ هو عملية يتم فيها انتاج نسخة مطابقة جينيا مع خلية ونسيخ أو كائن حي ويطلق على النسخة الجديدة مصطلح مستنسخ وتقوم هذه العملية عبر مراحل:

---

[1]- محي الدين القواة الداهي: علي يوسف المحمدي، فقه القضايا المعاصرة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط2، 1427هـ، 2006م، ص370.

[2]- كروموسوم Chromosone: تركيب يشبه القضيب مؤلف من بروتينات ودنا خلوي يحمل مجموعة الجينيات في تتابع نواتيداته، وعماد الكروموزوم هو جزء بالغ الطول من الدنا لا يمكن رؤية الكروموزومات بـ الميكروسكوب العادي إلا في مراحل معينة في انقسام الخلية، عندما تكون في صورة مكثفة من المعتمدة أن عدد جينات التي تحملها الكروموسومات الأربعة والعشرين المختلفة للجينوم البشري (22 أوتوزوما + الكروموزومان، س. ص)تبلغ مائة ألف مرجع دانييل كيفلس وبيروي هود، الشفرة الوراثية للإنسان القضايا العلمية والإجتماعية لمشروع الجينوم البشري، ترجمة أحمد مستجير، الكويت 1923-1990، ص409.

[3]- عبد الله مصطفى، البيوتيقا وعلاقتها بالتطبيقات البيتوكنولوجية ضمن مجلة العلوم الانسانية لجامعة أم البواقي، العدد 02 سنة 2020، ص312.

ففي مرحلة الاولى يتم أخذ الخلايا الجسمية توضع في أطباق زجاجية حتى تصبح أنويتها صالحة لتوجيه عملية التكوين الجيني وفي المرحلة الثانية تؤخذ بويضة وتنزع نواتها الحاملة للموروثات ثم دمج نواة الخلية الجسمية مع البويضة من خلال شحنات كهربائية وتكون بمثابة إخصاب، وبهذا توضع البويضة المخصبة في قناة البيض لمدة ستة أيام حتى يتم الانقسام الخلوي التضاعفي لتنقل في الأخير الأجنة وتغرس في أرحام حيوانات بديلة حيث تستكمل نموها حتى الولادة فالاستنساخ يعني إمكانية الحصول على نسل دون الحاجة إلى العلاقة الجنسية المعروفة أو الحاجة إلى ذكر يقوم بعملية التلقيح في عام 1996 نجحت "هاواي" الأمريكية في استنساخ 22 فأر وفي 1998 نجحت اليابان في استنساخ ثمانية عجول ليكون استنساخ البشري مطروحا بشدة وهذا ما يطرح عدة مشاكل منها[1]:

- أنه يهدد علاقات الزواج حيث أن الاستنساخ لا يحتاج إلى الحيوانات المنوية الذكرية، وما ينجز عن ذلك الحرمان من عواطف الأبوة ومؤسسة الأسرة بما تحمله من مودة ورحمة، وعواطف وتربية ويشجع على الانحرافات الأخلاقية بإهمال الغرائز البيولوجية.
- المتاجرة بالجنس البشري والسعي إلى تحقيق الأرباح من خلال انتاج سلالات معدلة[2] جينيا لأداء وظائف محددة (استنساخ العباقرة والعلماء، الرياضيين الفنانيين والمشاهير والجيوش...) تبعا للقانون العرض والطلب، هذا من جهة ومن جهة ثانية يحتاج الاستنساخ إلى عدد كبير من البويضات مما يؤدي إلى استنزاف رصيد البويضات من

---

[1]– عبد الله مصطفى، البيوتيقا وعلاقتها بالتطبيقات البيتوكنولوجية ضمن مجلة العلوم الانسانية لجامعة أم البواقي، العدد 02 سنة 2020، ص312.

[2]– جين Gene : الوحدة الفيزيقية والوظيفية الأساسية للوراقة، الجين تتابع مرتب من النويتدات يوجد في موقع معين على كروموزم معين، يشفر كل جين لمنتج وظيفي محدد، جزئي بروتين، مثلا أو جزئي مرجع، دانييل كيقلس وبيروي هود، الشفرة الوراثية للإنسان القضايا العلمية والاجتماعية لمشروع الجينوم البشري، د.أحمد مسجير، الكويتية، طبعة الثانية، 1998، ص402.

النساء اللواتي يتم التجريب عليهن وهذا ما يدخلهن في اليأس المبكر نتيجة الأعراض تجارية.

- الخلية [1]التي تأخذ منها النواة[2] بغرض الاستنساخ خلية ناضجة ومكتملة النمو لتليها مرحلة الشيخوخة والتلف لتعوض بخلية جديدة في الجسد الأصلي، الأمر الذي ينعكس على هرم وشيخوخة النواة وبهذا يصل الكائن المستنسخ إلى مرحلة الشيخوخة في سن المبكر.

وهذا ما حدث للنعجة دوللي التي هرمت في سن مبكرة وأصيبت بعرض هشاشة العظام الشيخوخة المبكرة للمستنسخ وارتفاع معدل كهولته [3] وهو في عمر الميلاد، كذلك احتمال حدوث سرطان له، كما أن الاستنساخ ينطوي على انتهاك الكرامة الانسانية.

ومن الناحية الجنائية يفتح الاسنتساخ الباب أمام الجريمة والجريمة المنظمة في ظل وجود تطابق جنيني وظاهري، أين يطرح مشكل على من تقع المسؤولية الجنائية.

إن الكائن المستنسخ يولد بغير أب وهنا يثار مشكل النسب والميراث والحقوق الاجتماعية هذا فضلا عن النظرة الاجتماعية للإنسان المستنسخ التي تعتبره مواطن من الدرجة الثانية.

---

[1]– خلية، وحدة من السيتوبلازم، تحتوي على نواة واحدة، أو عديد من الأنوية يحاط بها غشاء خلوي وجدار، وقد تنتقل هذه الأنوية وكذلك السيتوبلازم، بحرية من خلية إلى خلية أخرى مجاورة عبر ثقوب الموجودة في الحواجز العريضة التي تصل هذه الخلايا عن بعضها، محمد علي احمد، قاموس المصطلحات الفطرية، المكتبة الأكاديمية، شاركة مساهمة المصرية، دار المعارف، 1998–1999، ص64.

[2]– هي عضية في الخلايا الحقيقية، يحيط بها غشاء نووي يحتوي على صبغيات يتحكم موروثتها ببنية البروتينات داخل الخلايا، ميرفانا ياسر سلامة، موسوعة التعريفات العلمية الاحياء، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2003–1423، ص104.

[3]–عبد الله مصطفى، البيوتيقا وعلاقتها بالتطبيقات البيتوكنولوجية ضمن مجلة العلوم الانسانية لجامعة أم البواقي، العدد 02 سنة 2020، ص313.

الكائنات المستنسخة تعرض للكثير من الامراض والضعف والتشوهات نتيجة لضعف الجهاز المناعي، كما أن الحصول على كائنات مستنسخة يقتضي التجريب على عدد كبير جدا من البويضات للحصول على أجنة فالنعجة دوللي نجح إستنساخها من بين 227 جنيا أي نسبة 1 من 227.

التلقيح الصناعي:

التعريف اللغوي[1]: هذا المصطلح يتكون من كلمتين هما: التلقيح والصناعي، التلقيح لغة فهو وضع طلع الذكور في الإناث، وهو مأخوذ من لقح الناقة أي حبلها، والملاقيح هي: الامهات وما في بطونها من الأجنة وقال ابن فارس: "لقح بدل على أحبال ذكر لأنثى ثم يقاس عليه ما شبهه ثم قال: واللقاح ماء الفحل.

أما الصناعي لغة: فهو نسبة إلى صناعة، وهي مصدر يعني أن الشيء الموضوع قد دخل في تركيبه وانشائه يد البشر، يصنعه صنعا فهو مصنوع وصنيع عمله واصطنعه اتخذه ويقال: اصطنع فلان خاتما إذا سأل رجلا أن يصنع له خاتما استصنع الشيء دعا إلى صنعه.

إصطلاحا: هو ادخال مني الرجل في رحم إمرأة بطريقة آلية فالمراد بالإدخال هو: أخذ السائل المنوي وإيصاله إلى الرحم سواء كان يتوسط ذلك وضعه في وعاء مختبري تلقيح فيه بيضة المرأة بماء الرجل، ثم ادخالهما في رحم المرأة، أو قذف المني مباشرة في رحم إمرأة بواسطة حقنة أو نحوها.

مشكلة التلقيح الصناعي[2] :

---

[1]– محي الدين القرة داعي: ا. علي يوسف المحمدي، القضايا المعاصرة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط2، 1427، 2006، ص563.

[2]–عبد الله مصطفى، البيوتيقا وعلاقتها بالتطبيقات البيتوكنولوجية ضمن مجلة العلوم الانسانية لجامعة أم البواقي، العدد 02 سنة 2020، ص313.

قبل الحديث عن التلقيح الاصطناعي ينبغي أن نتعرف على الحالات التي يكون فيها هذا النوع من التخصيب، أولا: أن تؤخذ نطفة من الزوج وبويضة من الزوجة ويتم التلقيح خارجيا ثم تزرع اللقيحة في رحم الزوجة أو تلقيح بيضة الزوجة وهي داخل الرحم بنطفة الزوج بطريقة علمية دون تدخل طرف ثالث فهذه الطريقة مباحة ولا حرج فيها شريطة الحيطة والحذر من اختلاط الانابيب، أم عن الطرق غير المشروعة، فقد حددها مجمع الفقه الإسلامي في التالي: "أن يجري التلقيح بين نطفة مأخوذة من زوج وبيضة مأخوذة من إمرأة ليست زوجته ثم تزرع اللقيحة في رحم زوجته، أن يجري التلقيح بين نطفة رجل غير الزوج وبيضة الزوجة ثم تزرع تلك اللقيحة في رحم الزوجة، أن يجري تلقيح خارجي بين بذرتي زوجين ثم تزرع اللقيحة في رحم إمرأة متطوعة بحملها أن يجرى تلقيح خارجي ببذرتي رجل، أجنبي وبيضة إمرأة أجنبية وتزرع البيضة في رحم الزوجة، أن يجري تلقيح خارجي بين بذرتي زوجين ثم تزرع اللقيحة في رحم زوجة أخرى[1].

[1]–عبد الله مصطفى، البيوتيقا وعلاقتها بالتطبيقات البيتوكنولوجية ضمن مجلة العلوم الانسانية لجامعة أم البواقي، العدد 02 سنة 2020، ص314.

إن الحالات التي حرمها الفقه الإسلامي كانت بسبب تدخل طرف ثالث متبرع بالمني أو الرحم أو البيضة، مما يطرح مشكل الهوية عند الطفل وحقه في التعرف على والديه البيولوجيين بالإضافة إلى ثبوت المني وما تطرحه من مشاكل المتاجرة بعناصر الجسم خاصة بعد الترويج لها عرف ببنوك مني العباقرة، أو التخلص من البيضات أو المني الفائض بل حتى الاجنة الإضافية، وانتاج أجنة بشرية خاصة بالبحث العلمي مما يجعل الكائن البشري حيوان تجريبي في المختبر وهذا ما يتنافى مع كرامة الإنسان [1].

وتجدر بنا الإشارة إلى الكثير من العمل مثل: الولايات المتحدة الامريكية والهند والصين تلجأ إلى هذه الممارسات.

مشكلة الهندسة الوراثية "الجينوم البشري[2] ":

يشكل الجينوم البشري الخريطة الوراثية الأساسية للإنسان ولكل كائن حي، فهي مرتبطة بقرابة المائة ألف مورث التي تنظم ثلاثة وعشرون زوجا من الكروموزومات، الوراثية، ويرتبط كل مستوى بمجموعة من الصفات التي تتمركز في نواة الخلية الجسمية للكائن البشري، وكل اضطراب في هذه الجينات والكروموزومات يؤدي إلى حدوث أمراض أو اضطرابات معينة منها متلازمة "داون" الذي يرتبط بالمستوى الواحد والعشرون، ولهذا الجينوم دور محوري في مجال الطبي العلاجي والوقائي، وفي الطب الشرعي وفي إثبات النسب، كما يساعد في توفير الغذاء

---

[1]– بنوك المني، Bonque des perme هي مختبرات أو مراكز تقوم بحفظ الحيوانات المنوية إلى حين طلبها، إما لإجراء التجارب عليها أو حفظها لعمليات التلقيح الصناعي، وقد بدأت فكرة حفظ المني سنة 1956، حيث فكر العلماء في الاحتفاظ بمني الحيوانات إلى وقف الحاجة لتلقيح البويضات في أي وقت، وقد أنشئ أول بنك للمني في العالم سنة 1970، لحفظ المني البشري من أجل تلبية الرغبة الفطرية لإنجاب الأطفال الأشخاص الذين يعانون من ضعف الخصوبة أو العقم.

مأخوذة من فهيمة بوعبيدة، البيواتيقا من وجهة نظر الدين، إشراف، د: أمال علا وشيش 2015–2016 قسم الفلسفة، كلية العلوم الغنسانية جامعة الجزائر، منشورة، ص47.

[2]–عبد الله مصطفى، البيوتيقا وعلاقتها بالتطبيقات البيتوكنولوجية ضمن مجلة العلوم الانسانية لجامعة أم البواقي، العدد 02 سنة 2020، ص315.

المحور جينيا، وهذا الأخير يطرح الكثير من الإستفهامات، حيث أنها كثيرا ما تؤدي إلى تشوهات للأجنة والتسبب في الإجهاض وظهور بعض السرطانات مثل المعدة والقولون وتأثيرها على معدلات الخصوبة لدى الإنسان ومن الأغذية التي خضعت للتعديل الجيني الأرانب والأسماك والأبقار ومن النباتات الأرز والذرة وأشجار اللقاح ... والتي تحمل في طياتها الكثير من السموم، وهذا ما يتعارض مع الحفاظ على سلامة الجنس البشري.

أما بالنسبة للهندسة الوراثية[1] وتطبيقاتها على الجنس البشري فقد أدت إلى تغيير خلق الله من خلال التلاعب بالجينات الوراثية مثل: لون العينيين والشعر واختيار جنس المولود، مما يتسبب بالكثير من المشاكل الصحية، كما اشتغلت عند الكثير من الفاسدين في استغلال المعلومات الوراثية في تأجيج الصراعات العرفية بدعوى أن جينات امم أفضل من غيرها، وبالتالي تتمتع بالأحقية في السيادة[2] هذا فضلا عن البحث في الجينيات عما يتضمن الخلود للإنسان ويزيد من متوسط عمره والقضاء على الشيخوخة بل أكثر من ذلك بروز الحركة اليوجينية التي تدعو إلى عدم الانجاب في حالة عدم التأكد علميا من سلامة الجنين من الناحية

---

[1]– هندسة الوراثية: المعاملة الوراثية للمادة الوراقية خاصة الاستخدام الزراعي والصناعي والطبي وتشمل على تقنيات التنسيل الجيني والتحوير DNA بواسطة التغيرات في الترتيب أو في حدف النيوكليوتيدات وكذلك ادخال الجنيات الغريبة في الخلايا الكائنات الحية وتجري معظم التطبيقات القصيرة الامد لمثل هذه التقنيات لإنتاج الأدوية، د.لؤي محمد العاني، المختار في المصطلحات الوراثية، جامعة عمر المختار البيضاء، ط1، 1998، ص190.

دنا DNA: الحامض النووي الديوكسي ريبوزي، الجزئي الذي يشفر المعلومات الوراثية، الدنا سلسلة نويتيدات في حلتين تربطهما روابط ضعيفة بين زواج القواعد، تتشكل أزواج القواعد طبيعيا بين الأذنيين (أ) والتايمين (ث) وبين الجوانبين (ج) والستيوزين (س) وعلى هذا فإن نتابع جدلية واحدة يعرف بتتابع رفيقتها، مرجع الشفرة الوراثية للإنسان، ص405.

دنا DNA: نسخة دنا يصنعها الإنسان للتتابعات المشفرة للجنين ينتج دنا "م" في أنبوبة الاختبار فهو ليس منتجا طبيعيا تنسخ تتابعات الدنا المشفرة للبروتين في صورة "رنا" مرسال "رنا "م"، يستخدم البيولوجيين الجزئيون "أنزيم" النسخ العكسي، الذي يصنع نسخ "دنا" من "الرنا"، في صناعة "رنا"، ويمكن بطرق مختلفة أن يحلل الدنا "م" الناتج (إذا جاز التعبير نسخة منسوخة من نسخة، مرجع نفسه الشفرة الوراثية، ص 405.

[2]–عبد الله مصطفى، البيوتيقا وعلاقتها بالتطبيقات البيتوكنولوجية ضمن مجلة العلوم الانسانية لجامعة أم البواقي، العدد 02 سنة 2020، ص316.

الخلقية والعقلية، بإنجاب الذوي الصحة الجيدة والذكاء الحاد والتخلص من المرضى وضعاف الكفاءة وهذا ما يتعارض مع مفهوم الإنسانية.

الموت الرحيم: Euthanaia الأوتانازيا:

لغة[1]: تحيلنا مختلف المراجع حول نقطةEuthanaia إلى جذر الكلمة الإغريقي المتكون من مقطعين هما: Eu ونعني حسن Thanasie وتعني الموت، ومجموعها الموت الرحيم، الجذر الإغريقي يعود بالخصوص إلى تنانوس "Thanatos" الذي يعني الموت، أو الجني العبقري ويشخص الموت، في مقابل الحب " Eros " (أو أنه الحب في الميتولوجيا اليونانية) الذي يمنح الحياة.

يحيلنا إذن الأوتانازيا من ناحية الإشتقاق على الموت الحسن والموت الجيد الذي يخلو من المعاناة التي حينما تبلغ ذروتها مع مرض عضال لا علاج ولا شفاء منه يغد ومع هكذا أو صفية محرجة للمريض ولطبيعة لا محرج منها سوى الموت الرحيم.

الإصطلاح[2]: يعني الأوتنازيا موت معطى بغية التخفيف الآلام عن المريض المعتذر علاجه وجاء في قاموس الكبير للفلسفة حول دلالة إصطلاحية للأوتنازيا ما نص في خلق الورقة ونقرأ في هذا المعنى الاصطلاحي ما يفيد أن الأوتنازيا فعل التعجيل أو الإشارة المعتمدة (المتروية) لموت شخص ما بغرض تخلصه من الآلام أو من وضعية حياة لإنطاق.

فيكون بذلك الموت الرحيم متمثلا في التدخل الطبي الذي يسعى إلى وضع حد لحياة شخص مصاب بمرض عضال أو مستعصي على العلاج (غير قابل للعلاج لا جدوى من شفائه Incurable) أو دخل في حالة غيبوبة دائمة أو طاعن في السنة أصبح جسمه وعقله

---

[1]– جديدي محمد، ما البيواتيقا؟، منشورات الوطن اليوم، سطيف، جزائر، 2020، ص177.

[2]– محمد جديدي، ما البيواتيقا؟، منشورات الوطن اليوم، سطيف، جزائر 2020، ص178.

معا هدفا لكل الأمراض ومسكنا لكل الأوجاع، أو طفل ولد أو سيولد بتشوه خلقي بالغ الخطورة أو بتخلف عقلي كبير، وذلك بهدف تجنبهم المعاناة والآلام المبرحة.

سؤال قيمة الحياة أمام موت الرحيم [1]"مشكلة":

كثيرا ما يطرح عنصر الحياة عند الإنسان مشكلات طبية يقف العلم عاجزا أمامه فغاية الطبيب هي المحافظة على الحياة لكن ماذا لو مات الدماغ، وبقي الانسان حيا من خلال ربطه بجهاز التنفس الإصطناعي، فهل موت الدماغ هو المعيار الأساسي الذي به يتم تقرير وفاة الشخص وأي جزء من الدماغ ينبغي أن يتوقف للحكم على ذلك؟ وماذا عن حالة الغيبوبة طويلة الأمد التي وصلت إلى مرحلة اللارجوع؟ وما مدى قيمة الوسائل الداعمة في هذه الحالات؟ وهل الرحمة الحقيقية ترتبط بالحفاظ على الوظائف الحيوية للجسد بغض النظر عن الوعي والإحساس والتفاعل مع العالم؟ هذه الأسئلة وغيرها شكلت مبررا وذريعة للجوء إلى موت الرحيم في الكثير من دول العالم غير أنها لم تتوقف عند هذا الجد بل انطوت على حالات أخرى مثل مرض السيدا والسرطان أو الشيخوخة والأمراض المصاحبة لها أو الأمراض النفسية وما يلحق عنها من وساوس قهرية واكتئاب حاد، والتي تجعل الحياة المستقرة في الوسط الاجتماعي أو حتى الشخصي يبدو مستحيلا، جعلت من فكرة الموت الرحيم كبديل عن فكرة الألم أو الإنتحار الذي قد يتسبب في إعاقات تؤدي إلى تفاقم المشكلة، حيث أن هذه الشرائح الاجتماعية تلح على وضع حد لحياتها بطريقة علمية تضمن الموت الرحيم أو فيما أصبح يعرف "بحق الموت أسهل طريق للهروب من الواقع فبدلا من البحث عن الحلول لجأ إلى طريق المختصر والذي يعني نهاية البشرية، ففرض الطب هو المساعدة على تحقيق حياة أفضل وإعطاء الأمل في الحياة وليس وضع حد للحياة بحجة الألم، فالموت الرحيم يعني حرمان الانسان من حقه في مواجهة الألم والشفاء و هو ما يعني التملص من المسؤولية تجاه المريض

[1]–عبد الله مصطفى، البيوتيقا وعلاقتها بالتطبيقات البيتوكنولوجية ضمن مجلة العلوم الانسانية لجامعة أم البواقي، العدد 02 سنة 2020، ص316.

فبدلا من قتل الألم بالأدوية والعقاقير الطبية، ثم قتل المريض والتساهل في هذه الممارسة يقضي على وجود فاصل بين الحياة والموت عند عامة الناس حيث يكون الملاذ الأول الذي يتجه إليه الإنسان في حالات الاحباط أو الفشل أو المشاكل وهذا يخالف الغاية التي وجد من أجلها الطب[1].

خلاصة:

ان الحديث عن البيوتكنولوجيا يضعنا وجها لوجه في صراع مع أزمة الإنسان المعاصر الذي يستوجب عقلانية واعية تستوجب وضع حلولا راديكالية لكل الانتهاكات التي مورست أو تمارس[2]. ويخطط لممارستها على الجنس البشري من خلال البيوتيقا التي تضع الانسان أمام حقيقته التي يتنصل منها، فالفلسفة بمعية السياسة والدين سعت إلى كشف الستار عن الممارسات الطبية التي تخترق خصوصية الفرد وتنهك حقوقه باسم التطبيب وتحسين السلالات والأجناس البشرية والقضاء على العقم والموت الرحيم والاستنساخ، إلا أن الإرهاب البيولوجي الذي يهدد كيان الجنس البشري لا يزال متواصلا نظرا لسرعته التخريبية وقلة تكلفته[3].

ويعتبر فيروس الكورون « Covide 19 » احسن دليل على الممارسات البيولوجية التي تعصف بالعالم اليوم وما انطوى عليها من وفيات وإصابات وانهيار اقتصادي للكثير من الدول، ينذر بالخطر خاصة أن الهندسة الوراثية تضع أمام المجرمين آليات تدميرية رهيبة للجنس البشري، ولا تزال القوى السياسية الفاعلة في العالم تحتفظ بمخزونات متجمدة من فيروس الجذري وهي روسيا والولايات المتحدة الأمريكية، رغم أنه مرض معدي وغير قابل

---

[1]– عبد الله مصطفى، البيوتيقا وعلاقتها بالتطبيقات البيوتكنولوجية ضمن مجلة العلوم الإنسانية لجامعة أم البواقي، العدد2، سنة 2020، ص316.

[2]– عبد الله مصطفى، البيوتيقا وعلاقتها بالتطبيقات البيوتكنولوجية ضمن مجلة العلوم الإنسانية لجامعة أم البواقي، العدد2، سنة 2020، ص316.

[3]– عبد الله مصطفى، البيوتيقا وعلاقتها بالتطبيقات البيوتكنولوجية ضمن مجلة العلوم الإنسانية لجامعة أم البواقي، العدد2، سنة 2020، ص317.

للعلاج وهذا تحسبا للمواجهات البيوتكنولوجية فتدخل البيوتيقا لا يعدو أن يكون دورا أخلاقيا تحسيسيا أمام سلطة السياسة، لذا ينبغي التأمل الجدي في المشكلات التي تلحق الممارسات البيوطبية ووضع قوانين دولية صارمة تجرمها وتمنعها بشدة حفاظا على كرامة الإنسان، مما سبق تتضح أهمية تفعيل القانون الدولي يقتضي تجريم هذه الممارسات التي تهدد حياة الانسان في العالم، وإعادة النظر في حال العلاقات الدولية القائمة على التناحر، فالعلم ينبغي أن يلجم بلجام الوعي والأخلاق والتعاون، وهذا إما نادى به بنتراند رسل منذ الحرب الباردة والسباق نحو التسلح[1].

[1]– عبد الله مصطفى، البيوتيقا وعلاقتها بالتطبيقات البيوتكنولوجية ضمن مجلة العلوم الإنسانية لجامعة أم البواقي، العدد2، سنة 2020، ص317.

الفصل الثالث

بطاقة قراءة كتاب الأفق

البيواتيقي ج2، محمد جديدي

1-قراءة في الشكل:

1.1-الجانب الشكلي للكتاب:

- عنوان الكتاب "الأفق البيوتيقي" لمؤلفه د. محمد جديدي يقع الكتاب في جزأين، الجزء الثاني هو موضوع بطاقة قراءتنا.
- الكتاب في جزئه الثاني صادر في طبقة أولى سنة 2021 عند دام ميم للنشر (الجزائر).
- يضم بين دفتيه 287 صفحة.
- اما من حيث فهرس موضوعاته وهيكلته، فإن المؤلف وبعد مقدمة، قسم الكتاب إلى ثلاث محاور رئيسية، يستهل كل محور بمقدمة ويذيله بخلاصة وهوامش كان عنوان المحور الأول: خلفيات فلسفية وإيتيقية، اما المحور الثاني: فجاء عنوانه وفق الصيغة التالية: إرهاصات وتطورات بيوتيقية، اما المحور الثالث: فكان موضوعه تساؤلات وإشكاليات بيويقية.

تمهيد:

قد كان حلم "بوتر" أن يدفع بالبيوتيقا نحو هذا الأفق (الأفق البيواتيقي) الملئ بالتفاؤل وإمكانية تدارك ما عطل مسير ة الإنسان نحو التقدم الحقيقي لا تقوده المعارف العلمية وحدها ومن دون قيم مرشدة وملهمة للعلوم في فتوحاتها على الربط بالفعل الأخلاقي ومحفزة للبشرية على الماضي قدما في تجسيد أفقها، في هذه المحاولة الجريئة التي دشن خطورتها الأولى "بوتر" ساعيا لمد جسور التعاون والانفتاح المتبادل بين نسق العلوم (البيولوجية والطبية) ونسق (الأخلاقية بشكل خاص)، قبل أن تتلواها خطرات أخرى كرست الاعتناء المتنامي للبيوتيقي عالميا، ما ينم عن وعي إنساني كبير بأهمية مراجعة الذات وتصحيح وضعية الإنسان ومكانته في الكون، بوصفه كائن حي طبيعي ضمن منظومات الكائنات الحية، والتي وضعناها في إطار تاريخي، حيث يتشكل هذه الكتاب في ثلاث محاور كبرى وهي:

المحور الأول: خلفيات فلسفية وإتيقية وتمثل الأرضية التي مهدت الطريق لإثارة السؤال الأخلاقي مجددا مع ثروتي علوم الحياة والطب، أما المحور الثاني: يتمثل في إرهاصات وتطورات بيواتيقية التي ضمناه في مقالات نشأة البيواتيقيا وتطوراتها وعلاقتها بالدين، أما المحور الثالث: كان عبارة عن تساؤلات وإشكاليات البيواتيقية وهي بمثابة مساءلات حول التقدم وتعدد المعيار ومفهومي الكرامة والطبيعة البشرية[1].

[1]– الأفق البيوتيقي، ج2، محمد الجديدي، ص12.

قراءة في المضمون:

منذ أن برزت البيوتيقا قبل خمسين عاما على يد "فان رازبيلار بوتر" « Van Rensseloer potter » كأفق في الزمان، إذ تجلت في مرحلة دقيقة من حياة البشرية وهي على أعتاب ألفية جديدة، وكأفق معرفي حيث بدت المعارف وهي تبلغ شأوا غير مسبوق من حيث الكم والتقدم إلى حد الانفجار، وكأفق إنساني، ذلك ما تعد به كلمة أفق ذاتها، حيث يمكن للإنسان أن يتدارك اخطاءه ويرمم علاقته مع بني جنسه ومع بيئته، وكأفق مكاني من جهته السياقات والممارسات البشرية بظهورها في بيئات بعينها وانتشارها في أخرى[1].

رأى أن الأفق هو الأفضل لفظ وأجدره بتصدر عنوان هذا الجزء الثاني من كتاب "الأفق البيوتيقي"، إيمانا بأن البيوتيقا تظل على الرغم من مسيرتها القصيرة والمكثفة في آن واحد، قصيرة زمنيا ومكثفة مقارباتيا، تظل فضاءا متسعا لهذا الأفق الواعد بمد جسرا أو جسور بين المعارف الإنسان وقيمة، برأب صدع ما تهدم من علاقة الانسان بالإنسان وإعادة اللحمة إلى ما تمزق من صلة الانسان بالبيئة كان حلم بوتر "مؤسس البيوتيقا" أن يدفع البيوتيقا نحو هذا الأفق المليء بالتفاؤل وبإمكانيات تدارك ما عطل مسيرة الإنسان نحو تقدم حقيقي لا تقوده المعارف العلمية وصدها ومن دون قيم مرشدة وملحمة للعلوم في فتوحاتها عن ربطها بالفعل الأخلاقي ومحفزة للبشرية على المضي قدما في تجسيد أفقها[2].

في هذه المحاولة الجريئة التي دشن خطوتها الأولى "بوتر" ساعيا لمد جسور تعاون وانفتاح متبادل بين نسق العلوم (البيولوجية والطبية خاصة) ونسق القيم (الأخلاقية بشكل خاص) قبل أن تتلوها خطوات أخرى كرست الاعتناء المتنامي للبيوتيقا عالميا، ما يتم عن وعي إنساني كبير بأهمية مراجعة الذات.

---

[1]– محمد جديدي، الأفق البيواتيقي، جزء الثاني، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2021، ص11.

[2]– المرجع نفسه، ص12.

وتصحيح وضعية الإنسان ومكانته في الكون ومراعاة علاقاته المتعددة، بوصفه كائن حي طبيعي ضمن منظومة الكائنات الحية الأخرى ووضعها في إطارها التاريخي وتنوعها البيئي ومنزلتها الكوسمولوجية.

إذن تشكل مقالات هذا الكتاب "الأفق البيواتيقي الجزء الثاني" في مجموعها ثلاث محاور كبرى ويمكن تصنيفها كالتالي [1]:

1. خلفيات فلسفية واتيقية.
2. إرهاصات وتطورات بيوتيقية.
3. تساؤلات وإشكاليات بيوتيقية.

في المحور الثاني: أي "خلفيات فلسفية واتيقية": تمثل الأرضية الفلسفية التي مهدت الطريق لإثارة السؤال الأخلاقي في مجددا مع ثورتي علوم الحياة والطب ضمن سياق اجتماعي وثقافي تدافع لتحيين الاخلاق تارة ولتحيينها تارة أخرى[2].

وضمن هذا الصدد عدنا لمقالتين: الأولى: "الوضعية الحالية للفلسفة الاخلاقية بين كانط وديوي" للفيلسوف الأمريكي ريتشارد رورتي Richard Rorty والمقالة الثانية: "أية اخلاق للزمن الحاضر؟" قراءة زيغمونت باومن للباحث الفرنسي بيارأنطوان شاردل Pierre-Antoine chardel .

وفي المحور الثاني: "إرهاصات وتطورات بيواتيقية": الذي ضمنه مقالات خمس تناولت نشأة البيوتيقا وتطورها وعلاقتها بالدين ووضعيتها المتأرجحة بين التأييد والرفض، بين البؤس والطموح، وهي مرتبة كالآتي "بروز البيوتيقا " للكاتب لازاربونارويو La zone benaroyo » ثم تعريف البيوتيقا: العودة إلى المصادر للفيسلوف البلجيكي جيلبرهوتر Gulbert »

---

[1]– محمد جديدي، الأفق البيوتيقي، ج2، ص12.

[2]– المرجع نفسه، ص13.

« hottois يتبعها "أركيولوجيا البيوتيقا" للأستاذ غيوم لوبلان « Guillaume le blanc وبعدها مقال أستاذ البيوتيقا الكندي هيبردوسييه Hubert Doucet "ثلاثون سنة من البيوتيقا" يعقبه مقال الطبيبة والفيلسوفة الفرنسية آنفاغولارجو Anne Fagot largeault حول "مصير البيوتيقا، يتبعه الحقوقي الفرنسي "كريستان بيك" « Christion beyk » كلمات البيوتيقا: إظهار الواقع أم إخفاؤه؟ ليردفه بحث الفيلسوف الكندي غيديران Gydurand بعنوان "بؤس البيوتيقا وعظمتها" وأخيرا ضمن هذا المحور كتب الأستاذ هيبر دوسيه « Hubert Doucet » اللاهوت وتطور البيواتيقا الأمريكية[1].

أما المقالات المتبقية فتقع داخل "محور تساؤلات وإشكاليات بيوتيقية" وهي بمثابة مساءلات حول التقدم وتعدد المعيار ومفهومي الكرامة والطبيعة البشرية تساءل هذه المواضيع طروحات العلميين وصلتها بالأخلاق وجدوى إثارتها لاسيما مع تزايد الأصوات المحتجة والمطالبة بكبح جماح التقدم العلمي، يتعلق الأمر بداية بمقال "هل نقبل بالتقدم في العلوم البيوطبية من دون آخر اتيقي" للفيلسوف السويسري لازاربناروبو« La zare Bonoyo« ثم مقال الدكتورة الفرنسية المختصة في الأخلاق والإتيقا التطبيقية فاليري غاتو « Valerie gateau » عن "التعددية المعيارية في البيوتيقا رهان ميتا بيوتيقي يتبعه سؤال أخر: "هل مفهوم الكرامة البشرية عديم الجدوى في البيوتيقا"؟ للكاتب والمحامي الأرجنتيني روبرتو أندروتو Roberto andorono وتختم هذه المقالات بمناقشة تخص "الطبيعة البشرية وتحسين الكائن البشري في ضوء برنامج ما بعد الإنساني لأستاذ الفلسفة والباحث الفرنسي "جان إيف قوفي" « Jeon Yves Goffe » [2].

---

[1]– محمد جديدي، الأفق البيواتيقي، ج2، ص13.

[2]– المرجع نفسه، ص14.

المحور الأول: خلفيات فلسفية وإتيقية

الوضعية الحالية للفلسفة الأخلاقية: "بين كانط وديوي".

ريتشارد رورتي[1]

في العقود الأخيرة، وجد أساتذة الفلسفة الأنغلوساكسونية صعوبات جمة أمام زملائهم الاكاديميين، والمجتمع بصفة عامة، لشرح ما الذي يفعلونه كي يضمنوا كسب قوتهم، كلما ازدادت دراسة الفلسفة تخصصا واحترافا، تضاءل احترام بقية الأكاديميين، أو الجمهور العريض لها، وفي الوقت الحالي، يتهددها التجاهل كلية وأن تعتبر كالفيلولوجيا الكلاسيكية، أثار متقادمة باقية، وان لم تفقد سحرها وباذبيها[2].

مع ذلك، فإن هذه المشكلة أقل حدة في حالة الفلسفة الأخلاقية التي هي الأكثر وضوحا والاكثر معقولية من مختلف التخصصات الفلسفية، بيد أن فلاسفة الاخلاق تعترضهم ضغوط لشرح ما يعتقدون فيما يقومون به، فإنهم بحاجة للزعم بقدرتهم على النظر بعمق في المسائل التي تمس الصواب والخطأ أكثر من غالبية الناس، بيد أن لا شيء في تكوينهم، يثبت ذلك ويضمن لهم هذه القدرة، فمن كتب منهم أطروحتهم الدكتوراه .Ph.D في هذا الفرع من الفلسفة يجد صعوبة في إدعاء فإن لهم خبرة اكثر من الآخرين لما يتعلق بخيارات أخلاقية صعبة.

لقد أعطى "كانط" أكثر من أي كاتب أخر في تاريخ الفلسفة، رواجا واحتراما لمعاني من قبيل "طبيعة التصورات الأخلاقية" ومنطق مناقشة الأخلاقية، واعتقد فعلا أن الأخلاقية لاتشبه شيئا آخر في العالم وانها من طبيعة خاصة بشكل عميق يوجد وفقا له فرق يتعذر تجاوزه بين

---

[1]– ريتشارد رورتي (1931–2007): فيلسوف امريكي معاصر، يعتبر رائد البراغماتية الجديدة ومحركها، اشتهر بقراءته للفلاسفة المعاصرين الكبار أمثال "هيدغر"، فتغنشتاين وديوي، كما له نقاشات ثرية مع بعض الفلاسفة المعاصرين أوروبيين وأمريكيين امثال هابرماس وليوطار وديفيدسون، بوتنام وبراندوم وآخرين، له عديد من النصوص الفلسفية أهمها: الفلسفة ومرآة الطبيعة (1979)، نتائج البراغماتية (1982)، العرضية، الساخرية والتضامن (1989)، مقالا تحول هيدغر وأخرى (1991)، الفلسفة والأمل الإجتماعي (2000)، الفلسفة كسياسة ثقافية (2007)، محمد جديدي، الأفق البيوتيقي، ج2، ص17.

[2]– محمد جديدي، الأفق، البيواتيقي، ج2، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2021، ص17.

مجاليين: أحدهما خاصة بالحكمة وآخر بالأخلاقية، إذا ما اتفقنا معه حول هذه النقطة، مثلما هو حال عند العديد من فلاسفة الأخلاق، إذن سنكون مستعدين للاعتقاد بأنه بمقدورنا أن نجعل من دراسة المفاهيم الاخلاقية تخصصا احترافيا لكن إذا لم نكن قد قرأنا كانط أو إذا أشارت قراءة أسس ميتافيزيق الاخلاق، اشتمئزار وأزمة ضحك جنوني، فإن فكرة أن تصبح الأخلاقية موضوع دراسة احترافية ستبدو من المحتمل مبالغ فيها[1].

بالمقابل فإن قراءة بطلي الفلسفة، "جون ديوي"[2] هي طريقة جيدة للإفلات من هذا الخطاب، كان "ديوي" يأمل بأن يتضاءل عدد المنجذبين للخطاب الكانطي حول الخيار الأخلاقي، اعتبر "ديوي" أن فكرة فصل الاخلاقية عن الحصانة فكرة سيئة جدا، وبالإخضاع الاعتقاد للأوامر الأخلاقية مصدر مختلف عما يتضح به هذه، لقد بدا له من المستحيل التوفيق بين النظرة الكانطية الانسانية مع النظرية الطبيعانية الداروينية لأصولنا، بالنسبة إلى ديوي، ومن وجهة نظر ما بعد الدارونية لا يمكن أن تكون هناك قطيعة تامة[3] بين المعرفة الامبريقية والمعرفة غير الامبريقية بالقدر نفسه الذي لا يكون بين الاعتبارات العلمية الامبريقية وغير الامبريقية أو بين الواقع والقيم، كل بحث في الإتيقا مثلما هو في الفيزياء حسب ديوي فإن الفصل الكانطي للامبريقي وغير الامبريقي هو من بقايا التمييز الأفلاطوني بين المادي واللامادي، وبالتالي التمييز اللاهوتي، الميتافيزيقي للانساني عن الألهي، اعتقد "ديوي" أن هذا "الحضن وعش الثنائيات"، كما اصطلح عليه، يجب أن يزاح وأن يأخذ معه كل من أفلاطون وكانط.

كما لو أن الفلسفة الأخلاقية المعاصرة محصورة بين "كانط"و "ديوي" بما أن معظم فلاسفة اليوم هم طبيعانيين راغبين في توقيف أفكارهم مع نظرية دارونية تفسر كيف وصلنا إلى

---

[1]– المرجع نفسه، ص20.

[2]– المرجع نفسه، ص22.

[3]– المرجع نفسه، ص23.

هنا غير أن الدارونيين لا ينسجمون مع الفكرة الكانطية لباحث الاخلاقي خاص، أو لملكة مشرعة مثل العقل بالنسبة إليهم، فإن العقلانية لا يمكن أن تكون إلا بحثا عن إتفاق بينذاتي يتعلق بتحقيق مشاريع مشتركة، من الصعب ان تنسجم هذه الرؤية للعقلانية مع التمييز الكانطي بين الاخلاقية والحصافة[1].

أي أخلاق للزمن الحاضر؟ قراءة زيغمونت باو من بيار أنطوان شاردل[2].

إن النماذج التنظيم الحالية لا تشجع على الأقل صراحة على أي سلوك لا أخلاقي لكنها لا تسير أيضا الى الخير، وفقا "لباومان"، فإنها تجعل حقا الفعل الاجتماعي لا مكثرت، أي لا خير ولا شرير، يتقبل القياس فقط على ضوء المعايير التقنية التي ليس لها دلالة سياسية حقيقية، يشير "باومان" إلى "حنة أرندت Hana Arendt" لتتأكد على فراغ الفضاء السياسي[3].

بهذا فإنه يأسف معها على أنه لا يوجد أبدا في مرحلتنا مواقع بديهية في داخل الجسم السياسي انطلاقا منها يصبح من الممكن إعداد تدخلات ذات دلالة وفعالية، حاملة لمشاريع ازدهرت تدخلات جزئية، موجهة نحو المهمة ومحدودة في الزمن.

لكن بصفة عامة إنها لا تضاف إلى بعضها البعض كي يشكل مجموعا لمعنى متشظية ومجزأة، إنها في الغالب الأعم في الخلاف ولا أحد يمكنه أن يزعم بأقل ضمان معرفة النتيجة مسبقا إن التدخلات البشرية هي فعلا ملتزمة لا تستفيد ضمن تعقيد النظام الاجتماعي المعتمد

---

[1]– المرجع نفسه، ص23.

[2]– بيار أنطوان شاردل Pierre Antoine chardel فيلسوف وسوسيولوجي فرنسي، ولد سنة 1971، أستاذ محاضر، يدرس الفلسفة الإجتماعية والاتيقية بالمعهد الوطني للاتصالات إفري (فرنسا) ويدير فيه وحدة بحث ETOS إيتيقا، تكنولوجيات، تنظيمات، مجتمع كما أنه كان مسؤولا عن ندوة بالمدرسة الدولية الفلسفية وأستاذ زائر بجامعة نيويولرك، له العديد من الكتب والمقالات من كتبه الفينونيولوجيا والتقنية (2008)، تكنولوجيا التحكم في العولمة الرهانات السياسية الإيتيقيات والاستيطقيات (2009).

[3]– محمد جديدي، الأفق البيواتيقي، ص51.

والكتيم، إلا لكي يتدفق مجددا فيما بعد في شكل يشير أكثر كارثة طبيعية منها أفعال إنسانية مترونة، من جهة ثانية، يبدو بديهيا بسبب طبيعة الخيارات التي نحن الآن بصدد مواجهتها، وحيث أن المبادرات الخاصة والتدخل اللامنتظم لا يفون بالغرض، إنها بالاحرى تصير جزءا من المشكلة وفي كل الحالات.

فهي ليست أبدا حلولا ومن الواضح، من الضروري وضع نوع من العقل المنسق والمتفق عليه.

حسب "باومان" يبدو جليا أنه يمكننا الاقتراب من ترقية أخلاق جديدة منها إلا بإعتبارها مسألة ومهمة سياسية، وهذا المثال السياسي معها يجب محاولة[1] التفكير فيه مجددا من دون التوقف عند الاطار التشريعي لأنه كان بمقدور التشريع إشارة أولا السلوك من هذا النوع مرغوبا، فليس لها المقابل أي حظ لتحقيق ترقية المسؤولية الأخلاقية التي لا تتميز عن الطاعة القانونية، إن أحد الرهانات السياسية الحالية يتضمن إعادة التفكير في الاختلافات والتعدديات.

فالإنسانية المعاصرة تعبر بواسطة أصوات متعددة، ان القضية الأساسية لعصرنا تكمن بالتالي في معرفة كيف يعاد تأسيس تعدد الأصوات (بوليفونيا) « Polyphonie » في الانسجام (هرمونيا Harmonie)، ان البحث عن الانسجام لا ينبغي أن يؤدي بالضرورة إلى تماثل إنما يجب على العكس أن يسمح بتفاعل عديد الأسباب المختلفة، كل واحد يحافظ على هويته الخاصة واختلافه لقد رأت "حنة أرندت" بأن القدرة على التفاعل هي خاصية البوليس Polis المجنية السياسية، والتي تعتبر فيها، أثناء لقاءاتنا أنفسنا بمثابة متساوية تماما مع اعترافنا بتنوعها ونهتم بالحفاظ عليها ووصفها الهدف ذاته اللقاء، من جهته يؤكد "ليفناس" على فضائل اجتماعية مختلفة عن اجتماعية مضافة ومركبة، ولم تأخذ بعين الاعتبار نمط البرهنة، يتساءل "باومن" في النهاية كيف يقارب مفهوما كهذا للحياة السياسية.

---

[1]– المرجع نفسه، ص52.

انطلاقا من هذه المعاني للمسافة التفاضل، الالتزام حيث يجدر إعادة التفكير في مكانة الكائن المسؤول ضمن سياق مجتمع حيث ينزع مواطنون إلى أن يصيروا مستهلكين غير مبالين لأنه إذا تعلق الامر اليوم برفض أكثر حزما فهو للايديولوجيا المهنية التي تنمى أجواء

2-المحور الثاني: إرهاصات وتطورات بيواتيقية

نشأت البيوتيقا في منتصف ستينيات (القرن الماضي) ضمن سياق شمال أمريكي، في الوقت الذي بلغت فيه الثورة الثقافية لسنة 1968م ذروتها أوساط الجامعيين فهي مرحلة الاحتجاج والرجوع إلى الخبراء وتأكيدات الذات الفردية، ومنذ الحرب العالمية الثانية، أصبح ينظر إلى العلم البيوطبي بإعتباره أحد المحاور المركزية لنجاح هذا البلد، وها هو اليوم لقي احتجاجا قويا من قبل تيار الأنتلجنسي (المثقفين)، ابتداء من 1966، توالت التصريحات والكشوفات بخصوص المعاناة التي فرضها الباحثون على الخاضعين للتجريب، إن التصريحات التي أدى بها هنري بيتشر Henry Beecher والتي سيستحوذ عليها سريعا الكونغوس والتي نجمت عن قضية الدم الملوث، وإخردادت حدث توتر بين الباحثين وبعض السلطات السياسية. ان شهادة كريستيان برنار christion bornad أمام مجلس الشيوح الأمريكي في 1970 تظهر هذه الذهنية، لقد كان رد الطبيب رائد عمليات زراعة القلب، الذي سأله السينايور كينيدي Kennody بأنه قام بمهمة موجهة حسب الطلب (الجمعية الطبية الأمريكية) فكان رد الطبيب متعجرفا أن المهمة الوحيدة للحكومات تتمثل في توفير الأموال للباحثين وهم وحدهم المخولين باتخاذ قرار التوجهات التي يتبعونها، وكان أطباء باحثون آخرون قد استخدموا نفس اللغة[1].

لتصحيح هذه الوضعية عهدت السلطات السياسية اذن إلى إنشاء هيئات تنظيمية حيث يمكن للغرباء عن العالم البيوطبي المشاركة في قرارات الموافقة على مشاريع البحث حتى كانت لهم الأغلبية في عضوية اللجان المعدة، أخذت هذه الهيئات اسم IRB مجلس المراجعة

[1]- محمد جديدي، الأفق البيواتيقي، ج2، ص197.

المؤسساتية وصارت في كندا CER (اللجان اخلاق البحث) هكذا أفلحت الأحداث في منتصف 1960م حيث فشلت محاكمة نورمبرغ Nurembeg في إدراج إيتيقا التجريب الطبي ضمن المجال العام وإظهار نتائج الوفد للباحث الفردي بخصوص القرارات المتعلقة بالبحث الإكلينيكي[1].

لقد امتد الانشغال (الاتيقي، المتولد من فضائح البحث، سريعا إلى الطب العيادي، إن أولى عمليات زرع قلب، المنجزة من قبل كريستيان بونار في 1967، أثارت أنذاك عدة تساؤلات استمر البعض منها، ففي بداية العقد كان ما يشبه استباق للمشكلات التي ستطرح عما قريب في كل مكان فقد أنشأ مستشفى بسياتل Seattle لنخبة مواطنين تتكفل باختيار الأفراد الذين سيتمكنون من هذا العلاج، وقد اعتبرت السلطات الاستشفائية أن المعايير الطبية لم تعد كافية في حالة الموارد المحدودة، فهل ينبغي أن تكون الأولوية للأشخاص بحسب القيمة أم بحسب المسؤولية أم بحسب فرص النجاح، ام ينبغي اللجوء إلى موضوعية بحثه مثل:" الاول بالأول" (أول من يأتي في أول من يحصل على خدمة؟) إن التجريب، الابتكار والطب المتقدم متلازمين، في الواقع ومنذ نتيجة التي أفرزتها الأعمال اللجنة الوطنية لحماية الأشخاص في البحث البيوطبي والسلوكي، وضعت لجنة أخرى تلامس في نظرها المشكلات الإيتيقية المثارة من طرف الطب وتحمل اسم اللجنة الرئاسية لدراسة المشكلات الاخلاقية في الطب[2].

« President commission for the study of ethical problems in medicine »

لقد رأى كثير من الباحثين والأطباء في مجيء الأجانب (أي أجانب وغرباء عن مهنة الطب) تدخلا في شؤونهم، ذلك أن تاريخ هيئات IRB و CER وCEH اللجان الأخلاق الاستشفائية « comites d’éthique hospitalière » يشهد على هذا الضجر الحاصل في

[1]– محمد جديدي، الأفق البيواتيقي، ج2، ص197.

[2]– محمد جديدي، الأفق البيواتيقي، ج2، ص198.

بعض الأوساط إن مسألة انتمائهم الإداري كما تشكيلتهم بقيت أيضا موضوعا لنقاشات صعبة فهل تتعلق بمجلس الأطباء والأطباء الاسنان للمؤسسة أم تعود إلى مجلس الإدارة؟ فمن العلميين أو من ممثلي المحيط (الطبي) يجب أن يشكل أغلبية الأعضاء؟ وهل يرى هؤلاء الباحثون والأطباء وتطور الإتيقا وكأنه فرض لتنظيم خارجي؟ وهل يكون الشعور بهذا التنظيم المغاير كما هو أنه قانون؟ [1].

وعلى العكس من ذلك رحب باحثون وأطباء آخرون، بحضور الغرباء منذ البداية واسعوا إليه بنشاط، لقد تزعموا الحركة شيئا فشيئا وتوافقوا مع الغرباء[2]. على أن يصبحوا شركاء إنه يدعمون بأن التطورات الحاصلة في العلم البيوطبي هو بهذا الحجم وهو ما يحكم خيار اللجوء إلى العمل المشترك بين الفروع وهكذا على سبيل المثال في سنة 1970 أنشأ لفظ البيوتيقا ليس من طرف الفلاسفة إنما من قبل أطباء ملتزمين بالبحث الإكلينيكي إن هذين الطبيين (فان يونز Vanlotte وأندرية هيكيعزر) اللذان اقترحا العبارة باستقلال الواحد عن الآخر، التقيا في الإنشغال الذي قادهما إلى إنشاء جماعة حوار ومسؤولية بين العلمين المنحدرين من البيوطب وأولئك الملتزمين في حقل العلوم الإنسانية الفلسفة، والتيولوجيا، فالتنظيم ينبغي أن يصدر من الداخل وقد فكر كل من "بوتر" و "هيليغرز" بتغبير التنظيم الذاتي وعلى هذا فاقتراحهما يعود إلى نسق أخلاقي بما يحمله المصطلح من معنى.

كيف ينفذ مشروع كهذا؟ إن الإجابة المقترحة تأخذ شكلا ضمن التقاء مختلف الفروع التي على ما يبدو تشكل قطبين بعيدين الواحد عن الآخر، وفي الواقع حتى في أصل البيوتيقا، تطورت فضاءات خارج السيطرة الكنسية والمجالات الأكاديمية، لتسيير البحث والحوار بين العلمين، الاطباء والمكفرين المنحدرين من التقليد اليهودي المسيحي.

---

[1]– محمد جديدي، الأفق البيواتيقي، ج2، ص198.

[2]– محمد جديدي، الأفق البيواتيقي، ج2، ص199.

بهذا اعتبر اللاهوتيين بوصفهم ممثلي الإتيقا فكان "اللاهوتيين البروتستانت أولا في ما سيصير لاحقا البيوتيقا، إن أسماء "جوزيف فليتشر"، "بول راسي"، "جيمس شيلدرس"، "وليام ماي"، و"جيمس غاستافسون"، تتبادر مباشرة إلى الذهن وبسرعة سار اللاهوتيون الكاثوليك وراء الحركة، وهنا ينبغي أن تذكر "ريتشارد ماك كورميك"، "تشارلز كوران"، "وران رايش"، ومن جانب التقليدي اليهودي يجب الإشارة إلى "إيمانويل باكوبوفيتش"، "فزادروسنر"، "ديفيد بليش"، إن المكانة التي احتلها الشيوكوجيون لا تستثني مع ذلك حصور بعض الفلاسفة القريبين من التقليد اليهودي المسيحي، أفكر هنا في "انيال كالاهان" و "هانس يوناس"[1].

من ملفت الانتباه ملاحظة أنه في المرحلة التي بدت فيها مسألة تعيين ممثلين لمجال الأخلاق ضمن اللجان الأولى المكلفة بتوضيح المشكلات الصعبة المشارة جراء الممارسات الطبية الجديدة، فإن النوع الذي كان يحال إليه مباشرة لم يكن هو الأخلاق أو الفلسفة، إنما اللاهوت.

إن انشغال الأخلاقي الذي يمكن المشاركين الأوائل في الحوار ذو طبيعة أنثروبولوجية، وقد عرفت المجتمعات تحولات جذرية ولم تعد بالإمكان ترجمة العلم والتكنولوجيا بوصفها مجرد أدوات بغرض الاستجابة أفضل الحاجات الحياة البشرية، إنها تسهم في صنع الكائن الانساني، ولم تعد الاتيقيات التقليدية تستجيب للمشكلات الجديدة التي أفرزتها البيولوجيا والطب. في البداية لم تكن البيوتيقا مرتبطة من المقام الاول باحترام حقوق الفرد بل سعت إلى إقامة طب إنساني سيشمل مجموع أعضاء الجماعة.

يمكن أن تقدم ملاحظات متشابهة على ما يبدو بخصوص كندا Canda والكيبك quinbec فالدراسات موجودة وتثبت الدور المبادر للاهوتيين، هؤلاء أبدوا اهتمامهم مبكرا للإيتيقا البيوطبية، بينما بقي الفلاسفة بعيدين عن ذلك[2].

---

[1]– محمد جديدي، الأفق البيواتيقي، ج2، ص200.

[2]– محمد جديدي، الأفق البيواتيقي، ج2، ص201.

ومن هنا تطورت البيوتيقا: إذا كان الحوار البيوتيقي قد تأسس أولا بين العلماء الأطباء والمفكرين المنحدرين من التقليد اليهودي، المسيحي، فإن الفلاسفة والحقوقيين اهتموا شيئا فشيئا بالمسألة ومع قدوم الفلاسفة والحقوقيين ابتداء من منتصف سنوات 1970، تحولت البيوتيقا إلى مؤسسة علمانية وحقوقية سياسية وأخذت الانسنة المطلوبة عندئذ وجهة أخرى غير تلك التي رسمها لها المشاركون الأوائل في الحوار البيوتيقي حق الفرد في تقرير مصيره وحق الطبيب في استعمال كل الموارد المتوفرة كي يستجيب جيدا لتوقعات المريض وهو ما يعتبر بمثابة وسيلة الأنسنة.

أريد التذكير بإيجاز ببعض العناصر المميزة لهذه المرحلة، بعض المبادئ أصبح أساسيا ولا مفر منه إلى حد أنها سميت "تغني Mantrs يتعلق الأمر بالاستقلالية الذاتية الخيرية، عدم الاضرار والعدالة، وهي الآن معروفة كمبادئ البيوتيقا ويوجد نظام تراتبي، تأتي الإستقلالية الذاتية على رأسها وبالفعل "فالنزعة الفردية هي القيمة الاساسية التي يرتكز عليها الصرح الفكري والأخلاقي للبيوتيقا، العنصر الثاني المهم: تقضي الاستقلالية الذاتية إلى رفض النزعة الأبوية وتظهر القاعدة التي صارت لا غنى عنها الآن في الموافقة المستنيرة (الواعية) وما يلزم عنها ن نتيجة الحق في الحقيقة.

يستند الصرح البيوتيقي على هذه المفاهيم التي هي جوهر على الخطوط الموجهة التي وصفتها الجمعيات المهنية أو المؤسسات الاستشفائية وخلق الاستقلالية مرجعا للقضاة في كثير من المحاكمات التي تمت "هل كل المريض أو المريضة على علم؟ إنها تعبر كذلك في المعنى القانوني للخصوصية Privocy المميزة للقانون المعاصر، أخيرا فإن ما نشير إليه من عنصر ثالث على صلة "الحالة" الشهيرة في البيوتيقا والتي يمكن وصفها بأنها وضعيات نهائية (مواقف نهائية) هذا الجانب الاخير يعطي أسلوبه للمؤسسة فالفكر البيوتيقي لا يرى في الواقع سوى معضلات ينبغي حلها ولا يتمكن من وضع الحالة ضمن مجموع أوسع يكون بمثابة الأزمنة الاخلاقية الدائمة للثقافة الحديثة ابتداء من منتصف سنوات 1970م، صارت الحقوق

والاتيقا مرتبطتين إلى درجة لا نستطيع معها في الغالب تمييزهما، يفهم جيدا هذا الامر لأنه من جهة تتسم الحداثة بهيمنة الحق بينما تتراجع الاخلاق أمام الحق فالمبادئ الاخلاقية الأخرى تفشت، ومن جهة أخرى وفي مجتمع يختزل الاخلاق في الفرد وفي خياراته الحرة "فلا حكم أخلاقي سيمرر على الحياة الخاصة، إذن وحدها القوانين من تتمكن من تحديد معايير أخلاقية عامة".

إن الاعتراف بالحقوق والفردانية يبدو فضلا عن ذلك أنه تناغم في المعنى إلى الحد الذي تكون لغة الفرد "متمركزة بشكل كبير على الفرد منها على المجتمع في مجموعة أو رفاه كل الجماعة[1].

وبسبب الإرتباط بين الحقوق والأخلاق وضمن السياق الذي يكون فيه المبدأ الأساسي هو ذلك المتعلق باستقلالية الفرد، فليس من الغريب أن تختزل (تقلص) الاتيقا إلى أجزاء وهنا سنتحدث عن إتيقا إجرائية هذه المكانة الهامة التي سيأخذها القانون أو لنقل الاتيقا أدت إلى مضاعفة التنظيمات التي تقع بين القانون بالمعنى الدقيق والتوكيد الأخلاقي[2]. فوظيفة التنظيمات هي أخلقة الممارسة الطبية الاستشفائية هذا الاتجاه مطابق لما يجري في عموم المجتمع، وبالفعل فحالما تطرأ صعوبة أو فضيحة نقترح إصدار معيار إعداد خطوط موجهة أو تمرير تشريع ما.

إذا كانت البيوتيقا قد برزت باعتبارها فضاء للالتقاء بين العلميين واللاهوتيين، فقد أصبحت بسرعة مؤسسة لاتهم فحسب الحقوقيين، كما سبق الذكر، إنما أيضا الفلاسفة وهذه واحدة من النتائج ذات صلة بكيفية تناول المعضلات وستعطي الأولوية للفكر الموضوعي والاستنباطي، تفهم بشكل أفضل هذه المقاربة.

---

[1]– محمد جديدي، الأفق البيواتيقي، ج2، ص201.

[2]– محمد جديدي، الأفق البيواتيقي، ج2، ص202.

وبسبب الدور الغالب تدريجيا للفلاسفة والحقوقيين اتسعت الفجوة بين الفكر البيوتيقي والتجربة الاكلينيكية اليومية، فاللقاء الإكلينيكي لا يتحدد أب

ا سواء على نموذج اللقاء بين أشخاص ملتزمين بفعل مشترك، أو على النموذج التعاقدي حيث يواجه فردين متساويين بعضهما قد النموذج التعاقدي يقول عنه مارك زنغلير، يسمع بتنظيم التفاعلات بين الغرباء أنه يتطابق مع العلاقات البيروقراطية التي هي خاصة بمؤسسات وتنظيمات لا شخصية[1].

وأثبت زيغلر « Siegler » أن النموذج التعاقدي القائم على الاستقلالية الذاتية يعارض نوع الانشغالات التي حركت اللاهوتيين وهم اصل البيوتيقا.

بمعنى ما بدت لي هذه الملاحظة صائبة جدا، بالفعل فأثناء هذه المرحلة الثانية من الحركة البيوتيقية حيث تتأكد الاستقلالية الذاتية للفرد كمعيار في اتخاذ القرار فإن اللاهوت سيمحى وسيتحول االاهوتي إلى خبير اتيقي وكل المفسرين يجمعون على هذا، وقد لخص جيمس غوستافسون Jomes Gustofson بشكل جد هزلي الوضعية في إجابة لصديق (وهو فيلسوف متميز) يسألني أصل كلمة الإتيقي (خبير بالإتيقا) أجبت بكيفية منتقصة : إن الإتيقي هو لاهوتي قديم ليس له القدرات المهنية اللازمة كي يتواجد في الفلسفة الأخلاقية[2]. وقد لخص "ريتشارد ماك كورميك" بشكل جيد الشعور العام بخصوص دور اللاهوت في هذه المرحلة في تاريخ البيوتيقا.

عند ذهابنا عند بعض الجيران نستقبل أحيانا بعلامة ترحاب خاصة "حذاري من الكلاب" ويعتقد أشخاص كثيرون أن الأمر سيان لما يناقش لاهوتي جوانب إيتيقية في البيوطب، فاللاهوتيين يمكن أن يعضوا.

---

[1]– محمد جديدي، الأفق البيواتيقي، ج2، ص202.

[2]– محمد جديدي، الأفق البيواتيقي، ج2، ص203.

وربما لا في الأسوأ سيبدون خطيرين للغاية وفي أحسن الأحوال فهم من دون مضرة ومن دون ضرورة أي من دون فائدة.

منذ منتصف سنوات 1980، أصبحت المقاربة الفرنسية على المبادئ وبالخصوص حول مبدأ الإستقلالية الذاتية، محل مراجعة وتشكيك وسعت بعض التيارات إلى اسماع صوتها، هناك سببين رئيسيين فيما يبدو لي وراء عدم رضا كثير من المشاركين والمشاركات في المؤسسة من ناحية هناك بالتناقض المأساوي: المؤسسة التي تجعل سلطة القرار بأيدي الفرد المريض تتفكر له ككل متألم ومؤسسة التحرر تتحول بالفعل إلى إجراء أو نمط تسيير في إتخاذ القرار.

وهكذا تنتج الإتيقا البيوطبية خطوط موجهة لتسيير الإحراجات المتولدة من التعارض بين الحقوق إنها لا تستدعي الشفقة إزاء الشخص المريض الخاضعة لتراجيديا المرض، شفقة هدفها أن يظل هذا الكائن الضعيف دائما شخصا إنسانيا في تطور بينما يجعله المرض تحت رحمة الآخرين إن الجدل حول تكثيف العلاج وما ينجر عنه الموت الرحيم يشهد ببلاغة عن ذلك من ناحية أخرى تصبح البيوتيقا عاجزة أمام المسائل المركزية التي ترتبط بمعنى ومصير منظومتنا الصحية، إنها لا تقدر على البوح بشيء ملائم ومستنير ضمن سياق موارد محدودة، في إعادة تنظيم ومراجعة خدمات الصحة والصحة العمومية لقد أزاحت البعد الجمعوي والاجتماعي كي تصير تدبيرية، فما الاسهام الذي يمكن للبيوتيقا أن تقدمه في النقاش المتعلق بمصير نظام رعاية الصحة؟.

إن التشكيك في النموذج الكلاسيكي للبيواتيقا (سنوات 1980م يعبر عنه على الأقل بطريقتين من جهة هناك سلسلة جديدة من الإتجاهات تبرز على صعيد الفكر الإتيقي ومن

جهة أخرى تعود الانشغالات اللاهوتية إلى موضوع عناية وفيما يتعلق بالاتجاهات الجديدة، يمكن إجمالها حول أربع أقطاب[1]:

- التجديد في فلسفة الطب.
- العودة إلى اتيقا الفضلة.
- التجربة المعيشية للنساء وسرد الحالات (النماذج) وإذا كانت هذه الاتجاهات معروفة أكثر فأكثر، مع ذلك فهي لم تستبعد النزعة المبدئية Principlism كشكل رئيسي للبيوتيقا الأمريكية.

المحور الثالث: تساؤلات وإشكاليات بيوتيقية:

هل نقبل بتقدم العلوم البيوطبية من دون آخر اتيقي؟ منذ أواسط القرن العشرين زحف التفكير الاتيقي على حقل البحث والممارسة الطبية، بينما كان في السابق يرافقهما عن بعد، وفي العادة كان موجها نحو دراسة أسس أخلاق واحترام الديونطولوجياالحتذاء بالتراث الأبقراطي، هذا التطور يبدو على صلة وطيدة بالأحداث التي وقعت أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية في حقل التجريب على الكائن الإنساني، فالجرائم المرتكبة ضد الإنسانية متنوعة بالفضائح التي كانت كبرى المستشفيات بشمال أمريكا مسرحا لها في سنوات الستينات أربكت الاتيقا[2].

هذه الأخيرة وقد وجدت نفسها مرتبكة إزاء وضعيات لم تسمح أبدا للاتيقيات التقليدية بالحكم عليها بكيفية مناسبة، لا سيما في كيفية تصور الخيرية، ان الوصف الاتيقي لهذه الوضعيات الجديدة لم يعد بديهيا، وبالأخص على مستوى الرهانات المرتبطة باحترام الحقوق الأساسية للإنسان، وأمام اللاتحديدات الاتيقية التي تميز هذه الوضعيات تمثلت في موقف

[1]– محمد جديدي، الأفق البيواتيقي، ج2، ص204.

[2]– محمد جديدي، الأفق البيواتيقي، ج2، ص205.

اقراري تم اصطناعه، قادت بسرعة إلى تسبيب الاتيقا، ومن هنا جاء تطوير اتيقيات جهوية تشكلت في فرع أو مبحث والتي منها البيوتيقا التي هي احدى صورها الاكثر رمزية.

هذه الأخيرة أبرزت مبادئ اتيقا تسمح بضمان احترام الحقوق الانسانية من خلال الاعتماد بالخصوص على الاعلان العالمي حقوق الانسان[1] لسنة 1948، وبالحديث عن مبدأ الاستقلالية الذاتية Autonomia لوصف الاحترام المطلوب للمرضى مواضيع للتجريب لمبدأ الخيرية Bienfaisance لتحديد نطاق المزايا التقنية التي يمكن للطب توفيرها شرعيا، من دون ضرر أو انتهاك لالتزام مبدأ الإستقلالية الذاتية ومبدأ العدالة Justice ، في إشارة إلى ضرورة إتخاذ بطريقة تحدد الأشخاص المعنيين بهذه الممارسات في الاعتبار بطريقة متساوية، هذه المقاربة الأخلاقية فرضت نفسها بسرعة كنموذج لاتيقا المسؤولية « Modèle d'éthique de responsabilité » سواء على مستوى البحث البيوطبي أو على العلاج، إذ الذين عملوا على ترقية هذه المقاربة المدرجة ضمن مبادئ الأخلاق البيوطبية Principales of biomédical ethics في 1979 من قبل توم بوشان Ton Beauchan وجيمس شيلدرز Jomes childress اعتبروا أن هذه المبادئ الأساسية تعكس في مجتمعاتنا التعددية أخلاقية مشتركة، وأنها تكون قاعدة انطلاق منها وضمن مسعى خلاق لمواصفة والتحكيم يمكن تقديم حلول للمشكلات التي تثار في ممارسات العلاج[2].

في نظر المؤرخين برزت البيوتيقا باعتبارها فرعا، يشهد على إلمام مشترك في العالم الغربي لما بعد الحرب في الإجابة بطريقة براغماتية تحت صور مختلفة في الولايات المتحدة وفي أوروبا على الرهانات حماية لكرامة الشخص المرتبطة ارتباطا وثيقا بإمكانات التحكم المتناهي لدى الكائن الحي التي تمنحها التطورات السريعة للبيوتكنولوجيات.

---

[1]– محمد جديدي، الأفق البيواتيقي، ج2، ص206.

[2]– محمد جديدي، الأفق البيواتيقي، ج2، ص216.

إن كان التطور قد فتح، طوال النصف الثاني من القرن العشرين، الطريق أمام تنظيم اتيقي للبحث البيوطبي، وبشكل خاص البحث التجريبي جعل الكائن الإنساني، فذلك لم يمر دون إثارة صعوبات هامة لأنه يوسع إلى حقل الممارسة الطبية بالفعل، إن إيديولوجيا الدفاع عن الحقوق الأفراد وبشكل أخص مبدأ الإستقلالية الذي هو التعبير الأكثر حيوية كان يميل إلى نزع النسيج الحي للروابط التي تجمع الاخلاق والطب، وباقتراح في سياق عدم الثقة الكبير إزاء السلطة الطبية، تقييد توسيع الرعاية الطبية إلى أبعادها التقنية البحثية تفاديا لكل شكل من أشكال الانحراف الأبوي، لقد راجعت البيوتيقا وشككت في شرعية الغرض الإتيقي الأساسي الذي كان يوجه تقليديا المهنة، مساعدة المريض المعرض لضعفه وهشاشة إلى ترميم استقلاليته المستلبة ضمن علاقة الثقة، وبالتالي أستعادت حالة جديدة من الصحة.

هكذا خلق (اتيوس) البيواتيقا قد تمأسف بشكل خفي عن الروابط التي تجمعه بالأبعاد الانسانية للطب، دون ربما إدراكها أنها بصياغة التساؤلات انطلاقا من الغالب الذي تشكلت به التطورات البيوطبي فقد ساهمت هي نفسها بفعالية في هذا الانحلال.

في حين أن تقليص المسؤولية الاتيقية للطبيب إلى منظور يقر لهذا الإتجاه أن يعود إلى حرمان الطب من إمكانية بناء مستقبل مدعوما بالمسؤوليات الاخلاقية والاجتماعية التي توجب عليها[1].

التعددية المعيارية في البيوتيقا: رهان ميتابيوتيقي "فاليري غاتو"

ضمن سياق قلق حيال التقدم العلمي، تنشغل الجدالات البيوتيقية مبدئيا بمعرفة إذا كان كل ما هو ممكن علميا مرغوبا أخلاقيا ان القرابة بين مختلف مدونات المعايير سمحت لوقت طويل إذن بتبعية المعايير القانونية والعلمية للمعايير الأخلاقية (احترام الكرامة الانسانية)، معاملة الآخر دوما على أنه غاية ...إلخ مقابل المعايير الإجتماعية والعلمية لكن مع بروز

[1]– محمد جديدي، الأفق البيواتيقي، ج2، ص217.

تيارات جديدة في البيوتيقا يزعمها علماء اجتماع وسياسة أكثر للقضايا البيوتيقية فإن تبعية المعايير القانونية والعملية للمعايير الأخلاقية صارت موضع جدل واسع، إن المنهج والإطار النظري للبيوتيقا (الفلسفة الاخلاقية، الأخلاق التطبيقية، النزعة المبدئية) قد انتقد بشدة وأن الطابع الاخلاقي تخصيصا للقضايا البيوتيقية صار محل تشكيك، فإزاء أهمية قضايا العدالة الإجتماعية وديمقراطية الصحة، إزاء روابط السلطة بين الفاعلين الدوليين (نسبة الدولة) والفاعلين العلميين.

البيواتيقا الأخلاقية ومؤسستها [1]:

لقد تطور التفكير البيوتيقي في سنوات 1970 استجابة للتخوفات الناجمة عن تقدم العلوم والتقنيات البيوطبية التي تتضمن معالجة الحي على وجه الخصوص من خلال التجريب على الإنسان ، استعمال أجزاء من الجسم البشري لمساعدة الطبية على الإنجاب، التدخلات على الخارطة الجنية ... إلخ هذه التقنيات تغير ممكنات الفعل الانساني وتمثل في الوقت نفسه باعتبارها تقدما علميا وعلاجيا حقيقيا ومظاهر جديدة وهذا السياق يجد العلميون أنفسهم في مجابهة مسألة أخلاقية[2] Moralite التقنيات والممارسات الجديدة، فهل كل ما هو ممكن علميا أو تقنيا الانعاش، الزرع، المعالجة الجنية إلخ، وهو مرغوب أخلاقيا؟ فيبين التحمس والتخوف من التقدم التقنوعلمي، يتدخل أو ينخرط تفكير متعدد الفروع pluridisciplinaire يسمى "بيوتيقا" Bioethique حول مبادئ أو معايير الأخلاقية التي ينبغي أن ترشد الفعل في هذا المجال، إن التفكير في هذه القضايا ينبني حول التعاون والأطباء، الفلاسفة واللاهوتيين.

شيئا فشيئا، تأسست البيوتيقا جراء انشاء مركز "هاستيغس" ومعهد كينيدي بالولايات المتحدة وعبر اللجنة الاستشارية الوطنية للأخلاق "CCNE" بفرنسا، واللجنة الوطنية للأخلاق

[1]– محمد جديدي، الأفق البيواتيقي، ج2، ص238.

[2]– محمد جديدي، الأفق البيواتيقي، ج2، ص239.

الطبية في تونس، ... إلخ، فقد انتظمت كثير من المؤتمرات المختصة ونشر المجلات والمطبوعات ووجهت العديد من التوصيات حول السلوكيات التي يجب اتباعها في مختلف الوضعيات البيوطبية (الانعاش، تلق الموافقة، نزع الأعضاء ...إلخ) [1].

تتزامن هذه المؤسسة من حركة مزدوجة أولا فهي تمهد لتجديد في الفلسفة الاخلاقية والتساؤلات المعيارية في الاتيقا، وبالفعل فهي النموذج الأولى "الأخلاقي" للبيوتيقا تعتبر المعيارية الاخلاقية هي من تلك الشرعية لحل المفارقات البيوتيقية وتأطير الممارسات، ينخرط الفلاسفة في الثقافات المعيارية، ويرافقهم في الأبحاث النظرية حول الأسس الاخلاقية للبيوتيقا، حيث يتعلق الامر بتأسيس عقلاني للمبادئ النظريات المناهج، والمفاهيم لحقل جديد متعدد التخصصات والفروع جدا، ومركز حول موضوعات بيولوجية وطبية هناك ثلاثة عناصر تفسر هذا الإنتقال (من الاتيقا إلى القانون):

الاول تاريخي [2] : يبدأ مع البيوتيقا نفسها يتعلق الامر بالتسجيل في الحق ضمن قانون نورمبرغ ففي محاكمة نورمبرغ 1947-1946 الذي غالبا ما يعرف بأنه نقطة إنطلاق التفكير البيوتيقي وفيه تم تخطي الأطباء النازيون على انتهاكهم كل القواعد الديونطولوجية للاخلاقية الطبية المتضمنة خصوصا في القسم أبقراط لكن باستخدام كخط دفاع رئيسي استحالة تعريف أخلاق كونية، وقد أجبر محاموا الدفاع المحكمة على وضع حكمها ضمن تبرير قانوني محض، والفكرة أن قسم أبقراط والأخلاقية الطبية "الكونية" والتي تفترض أنها تضمن احترام قواعد الاجتماع أخفقت في تنظيم ممارسات البحث[3]. ان حكم نورمبرغ صورنة في القانون الدولي القواعد التي تجعل التجريب الانساني مشروع والتي تتيح التمييز والتنديد بالانتهاكات

[1]– محمد جديدي، الأفق البيواتيقي، ج2، ص240.

[2]– محمد جديدي، الأفق البيواتيقي، ج2، ص240.

[3]– محمد جديدي، الأفق البيواتيقي، ج2، ص241.

وهاهنا اختراق للقاعدة الاخلاقية (المضمرة، المفترض أنها بديهية كونية ...إلخ) والتي تدعوا إلى تسجيلها ضمن القانون لأن هذا الاخير يمنح عقوبات لا تضمنها الأخلاق.

العنصر الثاني اجتماعي: فقد ظل قانون "نورمبرغ" لوقت طويل مجهولا من قبل الباحثين ومؤسسات البحوث لما بعد الحرب، بما أنه كان يستهدف ممارسات التعذيب في حالة الحرب ولا يبدو أنه يستهدف الممارسات الطبية في المجتمعات الديمقراطية التعددية، وفي زمن السلم لكن في الولايات المتحدة في سنوات 1970م من بين الفضائح المرتبطة بالبحث عن الانسان (مثلا توسكيجي، ويلوبروك) والتسممات المختلفة المرتبطة (ب.د.د.ت DDT) بالذريرات (الجزيئات العالقة في الهواء) وبعض المبيدات الاخرى بحث المستهلكون والمواطنون عن حماية من الدولة.

وهكذا اذن تم تصور البيوتيقا باعتبارها فضاء من فضاءات التعبير عن المطالب المواطنية، بوصفها أحد فضاءات الإعتراض على نزعة الأبوية الطبية وعلى الانحرافات العلمية إنها تمنع في الحالة المخالفة تفكيرا أخلاقيا يؤثر على القانون لحماية المستعملين والمستهلكين من التعسفات الممكنة.

العنصر الثالث براغماتي: هنا وحيث كما هو الحال في فرنسا، الإمتناع التشريعي هو قبل كل شيء مقبول (خصوصا من طرف البسرالين الذين يرفضون تدخل الدولة في قضايا الأخلاق (العادات) ويدافعون للحفاظ عن حرية البحث والإبداع العلمي).

طالب الفاعلون أنفسهم الإنتقال إلى المعيارية القانونية، أو في ظل "فراغ قانوني" ودعت المشرع إلى التموقع (وهو ما أفضى إلى قانون 1988[1]. حول حماية الأشخاص الذين يستعارون من أنفسهم لبحث الطبي) بعد ذلك رفض الأطباء تحمل وحدهم القرارات المتعلقة بتوجيه العادات (الأخلاق) (خاصة بالنسبة للمساعدة الطبية على الإنجاب (PMA) وأخيرا هيئة

[1]– محمد جديدي، الأفق البيواتيقي، ج2، ص241.

CCNE التي طلب منها تقديم رأيها (الإستشاري) حول هذه القضايا تلح على ضرورة فعل تشريعي، هذه المطالبة رفضت في 1988 إلى قانون يسمح بالتجريب الطبي ثم في 1994 إلى قوانين سميت بيوتيقية، تمت مراجعتها إلى التوالي في 2004 في 2009 وفي 2011.

وأخيرا في بداية سنوات 1990 بدا وكأن "الرهان البيواتيقي" قد تحقق فقد بدأ أن بعض المبادئ الأخلاقية الإجتماعية أو المتقاسمة تشكل قاعدة أخلاقية كافية وشرعية لتوجيه وتأطير الفعل البيوطبي في المجتمعات الديمقراطية التعددية[1].

الكرامة البشرية: روبرتو أندورونو"[2].

في مقال منشور في ديسمبر 2003 ضمن المجلة الطبية البريطانية، وصف البيوتيقية الأمريكية ماكلين Ruth Mocklin الكرامة البشرية بمفهوم عديم الجدوى في الإتيقا الطبية لأنه لا يشير إلى أي شيء آخر عدا ما هو متضمن في المبدأ الإتيقي لاحترام الأشخاص لاقتضاء الموافقة المستنيرة، الحفاظ على سرية المرضى وضرورة تجنب التمييز والممارسات المتعسفة، وبصفة أخرى فإن احترام كرامة الاشخاص ليست شيئا آخر سوى احترام استقلاليتهم، لهذا السبب خلصت "روث ماكلين" أنه يمكن التخلي ببساطة عن مفهوم الكرامة من دون أن ينجر عن ذلك أي خسارة.

يظهر عدد الردود التي أثارها المقال في العداد اللاحقة للمجلة، خاصة من طرف الممارسين والممرضات، يظهر جيدا أن الموضوع، ليس موضوعا أكاديميا خالصا، بل يمس جوهر الممارسة الطبية.

---

[1]– محمد جديدي، الأفق البيواتيقي، ج2، ص242.

[2]– روبرتو أندورنو Roberto Andorno ولد في 1961 بسانتا في الأرجمتيني أكاديمي وكاتب وحقوقي أرجنتيني أستاذ وباحث بعدة جامعات، بيونس أيرس، لافال بكندا وغوتينغن وتوبنغن بالمانيا وزريخ بسويسرا، عضو اللجنة الدولية للبيواتيقا باليونسكو وباحث بالمركز المشترك بين الأقسام لاتيقا العلوم (12EW) مختص بالقضايا البيواتيقية من أهم مؤلفاته: التمييز القانوني بين الأشخاص والأشياء لاختيار الانجاب الإصطناعي 1996 ، البواتيقا وكرامة الشخص (1997)، أخلاقيات قانون الملكية الفكرية، المشاكل الحالية في السياسة والعلوم والتكنولوجيا، مبادئ القانون البيولوجي الدولي (2013).

والسؤال المطروح إذن كالتالي:

- هل مفهوم الكرامة الإنسانية سطحي في البيوتيقا؟.

ما الكرامة البشرية[1]: ينبغي الإعتراف بأن تعبير الكرامة البشرية عادة ما يستعمل بدلالة جد غامضة، وهو ما يشجع الإستعمال المتضخم الذي تكون أحيانا هدفا له، ويحدث حتى أن يستدعي بغية تدعيم مطالب متناقضة، كما هو الحال في الجدل حول الأوتنازيا (الموت الرحيم)، لأنه لطالما أن أن كل ما يدافع عن هذه الممارسة ومن يعارضونها يلجؤون إلى فكرة الكرامة البشرية، وبالمثل، ففي مرات عدت تستخدم بكيفية مفرطة كحجة سهلة وسريعة (Knock out argument) بغرض نقد بعض الممارسات، مثل الاستنساخ أو الهندسة الوراثية لتجنب صعوبة تقديم شروحات إضافية.

مع ذلك فمجرد أن يكون لمفهوم الكرامة دلالة جد واسعة ويمكن أن تستعمل بكيفية مفرطة لايبدو وأنه حجة كافية كي نستنتج أنها عديمة الجدوى لأنه وبعد كل شيء، أليس الأمر كذلك جل المفاهيم الكبرى للإتيقا (الخير، العدالة، الحرية، الحب، ...)؟ هل يتوجب من ثم حذف جميع هذه المفاهيم بسبب صعوبة التي نصادفها في تعريفها بكيفية مضبوطة، أو من إفراط غالبا ما تكون عرضة له.

في الواقع، إذا كان لفكرة الكرامة البشرية مضمون ثري جدا بحيث يمكن أن يشمل مفاهيم مشتتة من قبيل إقتضاء موافقة المرضى للعلاجات، منع الممارسات التمييزية والمفرطة إزاءهم، أو مبدأ عدم الترتيب للجسم البشري، فيجب أن نرى في هذا، ليس سببا في هجرانها والتخلي عنها، بل على العكس، سببا في الإبقاء عليها بتقدير كبير ومواجهة التحدي لمزيد من ضبط معالمها[2].

[1]– محمد جديدي، الأفق البيواتيقي، ج2، ص258.

[2]– محمد جديدي، الأفق البيواتيقي، ج2، ص258.

من الصحيح أن الكرامة تنطوي على اقتضاء احترام الأشخاص، مثلما تعترف "ماكلين"، ومع هذا فإن "احترام الأشخاص" ليس نتيجة لكرامتهم، لهذا لا ينبغي الخلط بين هذين المفهومين.

سيكون ذلك مثل الخلط بين الناقوس والصوت الذي ينتجه السبب والنتيجة، وبعبارة أخرى، فإن فكرة الكرامة سابقة على تلك المتعلقة بالاحترام وتهدف إلى الإجابة عن السؤال "لماذا يتوجب علينا احترام الأشخاص"؟.

إن مفهوم الكرامة ليس كذلك مرادفا للإستقلالية، وبالتأكيد، فإن احترام استقلالية الأشخاص هو جزء مما تطالب به كرامتهم، غير أن هذين المفهومين لا يتماثلان، بمعنى آخر، الأفراد ليسوا بعد مستقلين أخلاقيا، مثل المواليد الجدد، أو أولئك الذين وفقدوا بالفعل استقلاليتهم الأخلاقية، مثل بعض الأفراد المصابين بأمراض عقلية، ليس لهم أية إستقلالية، وهذا ليس هو الحال هنا[1].

في الواقع، يحيل مفهوم الكرامة البشرية إلى خاصية لا تنفصل عن الوجود الإنسان ذاته، وهو ما يفسر أن تكون واحدة للجميع وأنها لا تقبل الدرجات هذا المفهوم يحيل، إذن إلى فكرة أن "كل شيء يرجع إلى الكائن البشري لأنه إنساني"، يعني هذا أن احتراما لا مشروطا يعود إلى كل فرد، مهما كان سنه، جنسه، صحته، الجسمية أو العقلية، الدين، الوضع الإجتماعي أو الأصل الإثني، اننا ندرك جيدا أن ما يتعلق به الأمر هنا هو الكرامة الملازمة وليس الكرامة الإتيقية « Dignite ethique » فبينما الأولى ذات مفهوم ستاتيكي، بما أنها تعود إلى كل كائن إنساني لمجرد وجوده وباستقلال عن الخواص الأخلاقية للفرد المعني، أما الثانية فهي مفهوم ديناميكي، لأنها لا تنطبق على وجود الشخص، إنما على فعله، وتسمح بالتأكيد[2].

---

[1]– محمد جديدي، الأفق البيواتيقي، ج2، ص259.

[2]– محمد جديدي، الأفق البيواتيقي، ج2، ص259.

خلاصة:

على الرغم من حداثة البيواتيقا في تجربتها التي لم تتعد نصف قرن والتي لم تجنبها ما طالها من اعتراضات وانتقادات وهو أمر سليم إلى حد ما، إلا أن هذه التجربة المتعددة (البيواتيقا من زاوية ما هي بيواتيقيات) بحاجة إلى رصد إضافي ومحك ميداني، تثبت من خلاله جدارتها واحقبتها بقيادة الإنسان الراهن والنأي به عن السقوط في المضاعفات الثانوية، للحضارة التقنوعلمية، إنها بحاجة لمدة زمنية أخرى كي تفي بوعودها في تقويم مسارات التقدم العلمي وأخلقيته حفاظا على كرامة الإنسان وعلى نقاء مسكنه (بيئته)، إن من مهامها أن تكبح جماع ميول البروميثيوسية وترشيدها بمبادئ القدرة الإنسية إتيقيا تفاديا لإفراز "فرانكشتاين جديد"[1].

[1]– محمد جديدي، الأفق البيواتيقي، ج2، دار ميم للنشر، الجزائر، الطبعة الأولى، 2021، من الصفحة الخلفية للكتاب.

الخاتمة

كان موضوع دراستنا يتعلق أساسا بإبراز نتائج الثورة العلمية في مجال البيولوجيا تحديدا علم الوراثة والطب على الجانب الإتيقي وما أدى ذلك إلى ظهور البيوإتيقا، حيث حاولنا خلال سيرورة هذا البحث المتواضع، تحديد السياق التاريخي الجغرافي والعلمي الذي ظهرت فيه البيوإتيقا وكذا موضوعها ومفاهيمها وآفاقها ورهاناتها، معرجين على قيمتها ومستوى الإهتمام بها في الدراسات الفلسفية في منطقتنا العربية، وبالتحديد في الجزائر من خلال الباحث "محمد جديدي"، وذلك بمحاولة قراءة في دراساته خاصة كتابه "الأفق البيوإتيقي ج2"، حيث افضت هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

ظهرت البيواتيقا في بداية السبعينات من القرن الماضي ، تحديدا 1971 كجسر يربط بين نسقين، النسق المعرفي/العلمي و النسق الأخلاقي، حيث استخدم الطبيب "بوتر Potter" هذا المصطلح الذي اصبح معتمد و متداولا منذ ذلك الحين

1- ان التقدم العلمي في مجال البيولوجيا و الطب افرز إشكاليات و قضايا أخلاقية،أدى الى نشأة حقل بحثي جديد فرضته الوضعية الجديدة للخارطة العلمية في نهاية القرن 20 ، هذا الحقل يقع تحت مسمى البيواتيقا، والتي تعتبر فرعا من فروع الأخلاق التطبقية، و من مسمياتها المرادفة لها "الأخلاق البيولوجية" ، " الأخلاق البيوطبية"، "الأخلاق البيو اتيقية"
2- ان البيواتيقا، حقل معرفي جديد نسبيا، نشا في بيئة أمريكية اتسمت بتقدم علمي و تقني في مجال البيوطبي خاصة و الصحة و البيئة عموما، و اتسم هذا الجو ببروز معضلات ذات طبيعة أخلاقية و اجتماعية و جب تجاوزها بالنقاش العلمي و الإتيقي المتعدد الأطراف و التخصصات. علمية وفلسفية و لاهوتية و قانونية

مرت البيواتيقا بثلاث مراحل تاريخية أساسية، ماقبلالبيواتيقا، مرحلة التأسيس، و مرحلة مابعدالبيواتيقا.

3- تهتم البواتيقا أساسا بمعالجة المشكلات الأخلاقية الناجمة عن التقدم التقني و العلمي في مجال الطب و البيولوجيا، تلك المشكلات لها تماس مباشر بالطبيعة البيولوجية للإنسان و لقيمه الأخلاقية الأساسية، و من بين تلك المشكلات نذكر، الإستنساخ،الموتالرحيم،التلقيح الصناعي، الهندسة الوراثية،
4- البيواتيقا وان كانت ذات منشأ غربي، أي انها نشأت في المجتمعات التي تعد علمية، الا ان اهتمامها يطال الإنسان في كل مكان، و تنبيها الى أهميتها القصوى، كان من الضروري

تكوين وعي بأهميتها و اشكالياتها و رهاناتها في عالمنا العربي ، و ذلك من خلال الترجمة و توطينها في الدرس الفلسفي في كل مستوياته و في التكوين و البحث الجامعيين و كذا جعلها قضية من قضايا المجتمع المدني، تمثل اعمال محمد جديدي نموذجا في ذلك كما اسلفنا.

فقد تبين لنا ومن خلال هذه الدراسة المتواضعة شح الدراسات العربية والجزائرية في مجال البيوإتيقا وكذا عدم ادخالها كمبحث في الدرس الفلسفي سواء في الثانوية أو الجامعة، وهذا يبين الهوة بين الواقع نعيش فيه شئنا أم أبينا نتائج الثورة العلمية في مجال الوراثة والطب، وبين التنظير لهذا الواقعة، وكما رأينا من خلال ظهور وتطور البيوإتيقا في العزب، أن هذا المجال لا يمكنه أن يتطور إلى في إطار عمل جماعي للمختصين من مختلف المجالات العلمية والدينية والقانونية وهذا يقودنا إلى التفكير في جعل البيوإتيقا اهتماما يطال المواطن وجمعيات المجتمع المدني، وعليه فأفاق البيوإتيقا في اعتقادنا وفي بلدنا، يجب أن تنحى، أي انزالها إلى الواقع من خلال الدراسة والنقص لواقع الممارسة الطبية المرتبطة بالقضايا البيوإتيقة، ومن ثم اتخاذ نتائج الدراسة الواقعية هاته، أرضية...تشريع بيوإتيقي.

قائمة البيبليوغرافيا

قائمة البيبليوغرافيا:

- فريديريك وورم، الفلسفة في 100 كلمة، د. محمد جديدي، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى.
- محمد جديدي، فلسفة الخبرة جون ديوي نموذجا، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.
- محمد جديدي، ما بعد الفلسفة مطارحات رورتية، الدار العربية للعلوم الناشرون، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2010م.
- محمد جديدي، الفلسفة الإغريقية، دار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر العاصمة، الجزائر ،الطبعة الأولى، 1430هـ- 2009م.
- محمد جديدي، الأفق البيوتيقي، ج2، دار رميم للنشر الجزائر ،الطبعة الأولى، 2021.
- محمد جديدي، ما البيوتيقا؟ منشورات الوطن اليوم، سطيف الجزائر، 2020.
- غي ديران، البيواتيقا: الطبية المبادئ، الرهانات، ت: محمد جديدي، مومنون بلاحدود، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى.
- مختار عريب، البيواتيقا بين البيوتيقية والمبادئ الإتيقية، دار الروافد الثقافية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2018.
- محي الدين القرة داعي: ا. علي يوسف المحمدي، القضايا المعاصرة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1427، 2006.
- عبد الله مصطفى، البيوتيقا وعلاقتها بالتطبيقات البيتوكنولوجية ضمن مجلة العلوم الانسانية لجامعة أم البواقي، العدد 02 سنة 2020.
- محمد جديدي، الأفق البيواتيقي، جزء الثاني، دار ميم للنشر، الجزائر ،الطبعة الأولى، 2021.
- مؤمنون بلا حدود، بتاريخ 2023-03-05، 06:10 سا. www.mominoim.com

- ميرفانا ياسر سلامة، موسوعة التعريفات العلمية الأحياء، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، سنة 2003م-1423هـ.
- الدكتور لؤي محمد العاني، المختار في المصطلحات الوراثية، جامعة عمر المختار البيضاء، الطبعة الأولى، 1998م.
- محمد علي أحمد، قاموس المصطلحات الفطرية، المكتبة الأكاديمية (شركة مساهمة مصرية)، دار المعارف 1998-1999.
- دانيل كيقلس وليدي هود، الشفرة الوراثية للإنسان القضايا العلمية والإجتماعية لمشروع الجينوم البشري، ترجمة أحمد مسجير الكويت، 1923-1990.